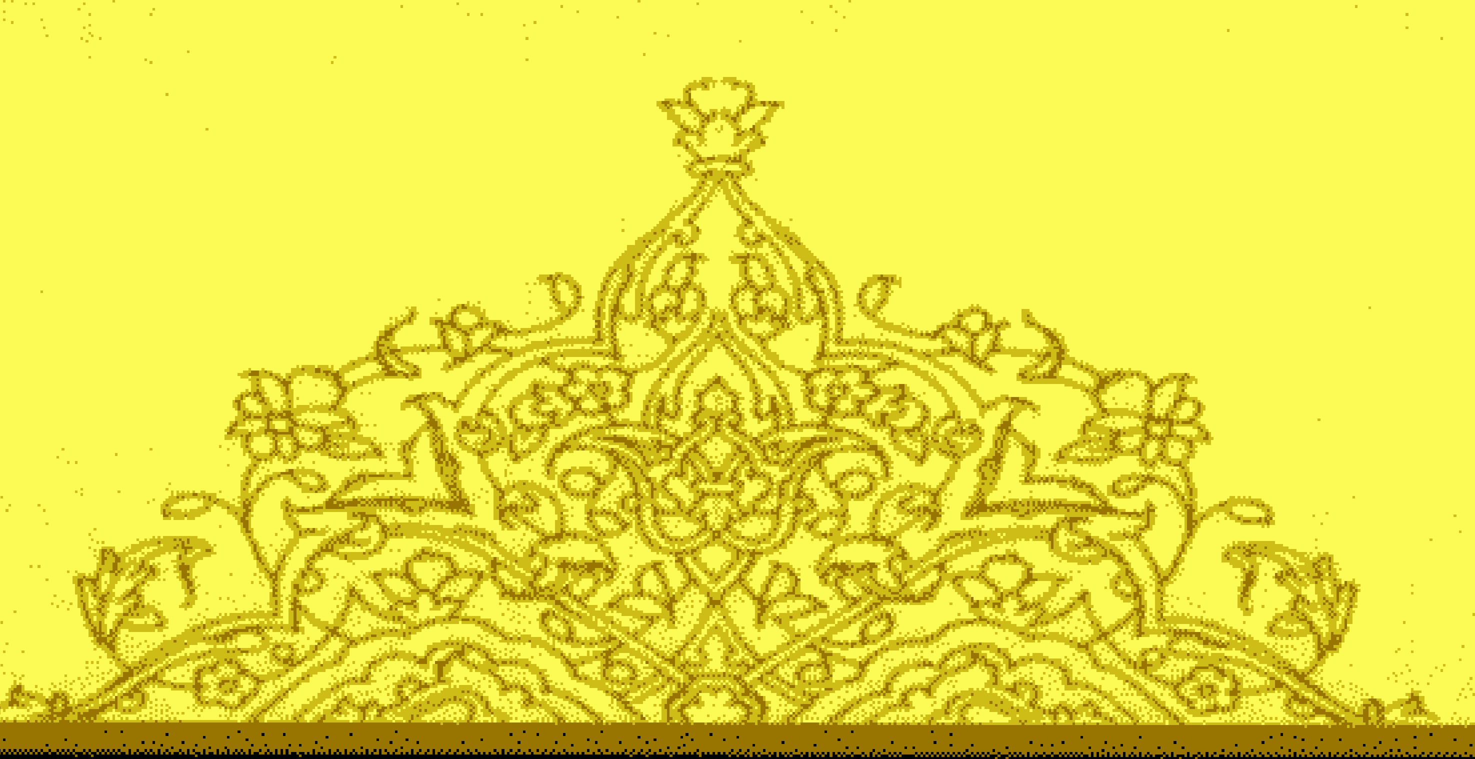


المهدي عجل الله فرجه

مَن هُم أنصارُ الإمامِ



وديع الحيدري

بسم الله الرحمن الرحيم



وديع الحيدري

من هم أنصار الإمام المهدي عليه السلام
وديع الحيدري
الرافد للمطبوعات
الطبعة الأولى
1438هـ - 2017م

arrafed_pub@yahoo.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والثناء لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، والصلاة والسلام على العبد المؤيد والرسول المسدّد والمحمود الأحمد خير خلقه وأفضل بريّته محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين وخِيَرَة ربّ العالمين ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين الغُرّ الميامين أركان التوحيد وخُزان العلم ومعادن الحكمة ، ولا سيّما خاتمهم وقائمهم الموعود المنتظر عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه وأوسع منهجه وسلك بنا محجته ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

إنّ الذي كان مثار الاهتمام عند مطالعة بعض الكتب المتعلقة بالإمام المهدي عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام ، وعجّل الله فرجه الشريف ، هو ما جاء فيها من الأخبار الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، والتي تتكلم عن الامتحان الذي تتعرض له الأمّة في

فترة الغيبة الكبرى ، وما يجري عليها من التمحيص والتمييز والغربلة ، خصوصاً في الفترة التي تسبق الظهور المبارك ، والتي تكون من الشدة بمكان بحيث لا ينجو من كل ذلك الامتحان والابتلاء : **(إلّا من عصمه الله)**[١] بتعبير الرواية الشريفة .

وإنّ الذي لفت الانتباه أكثر ، هو تعلّق هذا الامتحان الخطير والتمحيص الشديد بالذين ينتمون إلى هذا الأمر ، ويدّعون الإيمان به دون غيرهم ، وهذا لا يعني عدم تعرّض الآخرين للامتحان بشكل عام ، إلّا أنّ الكلام هنا يدور حول امتحان يختص بشريحة معينة من الأمّة ، ولأسباب سوف يأتي بيانها خلال البحث إن شاء الله تعالى .

فالأخبار الشريفة تتحدث عن فشل ذريع ، وارتداد سريع ، وخروج طوائف من المؤمنين الواحدة تلو الأخرى بسبب الامتحان والفتنة ، **(ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقده)**[٢] ، لا بل **(حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به)**[٣] ، وهذا ما يدعو الإنسان المؤمن الحريص على دينه إلى التأمّل والتفكّر والتدبّر ، كي يقف على حقيقة هذا الأمر الخطير والامتحان الكبير الذي ستبتلى به الأمّة في هذه الفترة .

---

١. بحار الأنوار : ج٥١ ، ص١٦٠ .

٢. رسائل في الغيبة : ج٢ ، ص١٣ .

٣. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٨٥ .

فما الذي سوف يجري على كل تلك الأعداد الكبيرة من المؤمنين التي تدّعي انتظار إمامها ، وتدّعي نصرته والقيام معه ، حتى ترجع عن هذا الأمر بهذا الشكل الملفت للنظر !؟

قد يستطيع الإنسان أن يتقبّل هذه النتيجة التي ستؤول إليها الأمّة في تلك البرهة المذكورة من الزمن عندما يقف على مجريات التاريخ ، لأنّ التاريخ يعيد نفسه ، والسنن الإلهية لا تقبل التبديل ، قال تعالى :

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1]

فالموقف مشابه إلى حدٍ ما ذلك الموقف الذي حصل مع سيد الشهداء ومسلم بن عقيل عليهما السلام في العراق من حيث التراجع المشهود لأكثر الذين كانوا يدّعون نصرتهما والإيمان بهما ، والذي جاء بعد الرسائل التي بعثوها ، والمواثيق التي أكدّوها ، والبيعة التي عقدوها ، وبعد انتظارهم للإمام الحسين عليه السلام وتعهّدهم له ولنائبه بالثبات والطاعة والنصرة .

فعلى الرغم من كثرة الذين ادّعوا نصرته عليه السلام ، وكثرة الذين بايعوا مسلماً وادّعوا نصرته أيضاً ، إلّا أنّ التوفيق لها لم يكن من نصيب غير تلك الثلّة القليلة من أصحاب البصائر ، والمعروفة في التاريخ .

---

١. الأحزاب ، ٦٢ .

وهكذا الحال بالنسبة إلى من يدّعي الإيمان بهذا الأمر عند قرب ظهور الإمام المهدي عليه السلام ، فعلى الرغم من كثرتهم إلّا أنّ الناجين منهم قليل : **(فلا يبقى منكم إلا القليل)**[1] ، لكن مع وجود الفارق في هذه المرة ، وهو أنّ عدد أنصار الإمام المهدي أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه لابدّ أن يكون كافياً لا ليقوم بهم فحسب وبغض النظر عن النتائج ، بل لابدّ أن يكون كافياً لإدامة النهضة أيضاً .

إنّ كلّ ما كان يدّعيه أهل الكوفة قبل الابتلاء ، وقبل قدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، وقدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق نحن ندّعيه اليوم في هذه الفترة أيضاً وقبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

فنحن ندّعي اليوم ولايته عليه السلام وانتظاره ، وندّعي استعدادنا لنصرته والقيام معه ، وندّعي كذلك إعانته على إقامة دولة الحق ، وندعوه بالتعجيل في ظهوره وقدومه ، وكما فعل أولئك من قبل مع سيد الشهداء عليه السلام .

إلّا أنّ النتيجة التي سوف تنتهي إليها الأمور ، شبيهة بتلك النتيجة الخطيرة التي آلت إليها الأمور في تلك الفترة ، أي من حيث القلّة في الأنصار مقابل الأعداد الكبيرة التي كانت تدّعي الولاية والبراءة والنصرة .

---

١. الإرشاد : ج٢ ، ص٣٧٥ .

وهنا تتبين خطورة هذه المسألة وخطورة عواقبها ، والتي دعت صاحب هذه السطور إلى الدخول في هذا البحث ، فنحن نعيش قضية الإمام الحسين عليه السلام في معظم مناسباتنا الدينية ، ونقف على عِظَم ذلك المصاب ، وعلى علله وأسبابه كذلك ، ونبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من تلك الأمّة التي خذلت الحق ونصرت أعداءه .

ولو أنك فتّشت عن أسباب النجاة ، وكذلك أسباب الفشل وتراجع الكثيرين في هاتين القضيتين لوجدتها متشابهة أيضاً ، وهنا تكمن أهمية أخذ العبرة من تلك الأحداث .

لذا وعلى هذا الأساس ، صار الهدف من الدخول في هذا البحث ، بعد رجاء القبول ، والاستعانة بالله عزّ وجل ، والاستمداد من أهل البيت عليهم السلام ، خصوصاً صاحب هذا العصر روحي وأرواح العالمين له الفداء ، هو : الوقوف على حقيقة هذا الامتحان الخطير ومعرفة أسبابه ، وعلّة اختصاصه بالمؤمنين ، وكذلك على سبل النجاح فيه والنجاة منه ، وأيضاً علاقته بالتكليف المهم الملقى على عاتق الأمّة في زمن الغيبة ، وهو الانتظار ، وغيرها من الأمور الأخرى ذات العلاقة ، والله المستعان وعليه التكلان ، والعفو عن التقصير والنقصان.

تمهيد

لابدّ من التذكير هنا ، وقبل الدخول في تفاصيل البحث ، بأنّ الوظيفة الأساسية للأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، ولمن يمشي على خطاهم من العلماء والمبلّغين ، هي الإنذار والتحذير ، فمع ما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي تُقدّم التبشير على الإنذار ، والأخرى التي تُقدّم الإنذار عليه ، وتحصر وظيفة الرسل فيهما ، وكما جاء في الآيات الكريمة :

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1] ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2] ، ﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[3]

إلّا أنّ الحصر لم يأتِ في مسألة التبشير وحدها ، على خلاف مسألة الإنذار ، فقد وردت آيات كثيرة تحصر وظيفة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فيه .

---

١. الكهف ، ٥٦ .

٢. الفرقان ، ٥٦ .

٣. الأعراف ، ١٨٨ .

قال تعالى :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[١] ، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٢] ، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٣] ، ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾[٤] ، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٥] ، ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾[٦]

وغيرها من الآيات الكثيرة الأخرى التي تفيد الحصر في الإنذار ، مما يتبين من خلالها أنّ الوظيفة الأولى والأساسية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وباقي الأنبياء عليهم السلام ، هي الإنذار .

هذا بالإضافة إلى ما ورد في آية النفْر التي تتكلم عن التفقّه في الدين ، فإنها تبيّن كذلك بأنّ الوظيفة الأساسية للمتفقهين في الدين هي الإنذار أيضاً ، قال تعالى :

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٧]

---

١. الحج ، ٤٩ .

٢. الشعراء ، ١١٥ .

٣. الأحقاف ، ٩ .

٤. الرعد ، ٧ .

٥.فاطر ، ٢٣ .

٦. هود ، ١٢ .

٧. التوبة ، ١٢٢ .

وقال تعالى أيضاً :

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١] ، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[٢] ، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[٣] ، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٤]

أمّا السبب الذي دعا إلى التقديم بهذه المقدمة ، هو أنّ الأسلوب الغالب على هذه الرسالة ـ ولكي لا تُتهم بالإفراط في هذا المجال ـ هو أسلوب الإنذار والتحذير .

هذا بالإضافة إلى أنّ أسلوب التبشير لا يكاد يخلو منه منبر في الوقت الحاضر ، وهو ما قد يؤدي بالبعض إلى حالة من التراخي تجاه هذه القضية الحياتية والمصيرية ، والذي قد يؤدي كذلك إلى نسيان الهدف ، أو ترك التكليف ، وقد يؤدي أيضاً إلى الغفلة عن مواضع الخطر في هذه المسيرة الصعبة ، والتي تحتاج إلى نفاذ في البصيرة ، وقوة في الدين ، لكي يتمكن الإنسان من خلالها العبور من تلك المواضع بسلام وأمان .

---

١. فاطر ، ٢٤ .

٢. الفرقان ، ١ .

٣. الشعراء ، ١٩٣, ١٩٤ .

٤. المدثر ، ١ , ٢ .

فكلما عَظُم الهدف هانت دونه الصعاب ، فالذي يخرج من بيته للنزهة مثلاً ، فإنّ أقلّ ما يواجهه مثل ذلك الإنسان من الأمور التي لا تتلائم مع هدفه ، كهطول المطر الغزير ، أو حصول عاصفة رملية ، أو أي حدث بسيط آخر يتعارض مع خروجه هذا ، فإنه سرعان ما ينثني عن تصميمه ، ويرجع إلى البيت .

وهذا على عكس ما لو كان خروجه من البيت من أجل هدف ضروري ومهم ، كمن يخرج من أجل إيصال عزيز له قد أشرف على الموت إلى المستشفى ، فإنّ كل تلك المعوقات المذكورة ، بل والأشدّ منها أيضاً لا تمنعه من الخروج من بيته .

فانظر إلى عظمة ذلك الهدف المرجو من ظهوره عليه السلام ، وإلى ما فيه من الأهمّيّة البالغة وعلى الصعيدين الفردي والاجتماعي ، لذا على الإنسان المؤمن أن يوطّن نفسه لمواجهة أشدّ الظروف ، ويهيئها لأسوأ الاحتمالات ، حتى لا يثنيه عن عزمه شيء ، ولا يزعزع إرادته أمر ، ويكون ممن لا تضرّه الفتنة مهما اشتدت وطال أمدها ، ولا فرق بين أن يكون ذلك في عصر الغيبة ، أم في عصر الظهور .

إنّ الذي وقع به أهل الكوفة في عهد الإمام الحسين عليه السلام ، هو إنّ دعوتهم له عليه السلام كانت من أجل الخلاص من حكم بني أمية ، وطلباً للعافية في ظل حكومة عدله عليه السلام ، خصوصاً مع معرفتهم

بضعف حاكم الكوفة الأموي ، وهذا يعني سهولة الوصول إلى غايتهم المطلوبة من دون صعوبة تذكر .

فلم يوطّنوا أنفسهم على خوض الصعاب وتحمّل الشدائد ، لذا وبمجرد سماعهم بخديعة قدوم جيش الشام وتهديدات ابن زياد ، والتي كانت تتعارض مع ما كانوا يظنون ، وما كانوا يتوقعون وينتظرون ، حتى بدأوا يتفرقون عن مسلم بن عقيل عليه السلام الجماعة تلو الأخرى ، حتى لم يبقَ معه منهم أحد .

هذا في الوقت الذي كانت فيه القوة والغلبة لهم ومعهم من حيث العدّة والعدد ، ولم يكُ بعدُ أيّ تهديدٍ حقيقي يتهددهم من قِبَل عدوهم الذي تحصّن داخل قصر الإماره وغلّق عليه الأبواب ، فلا سجن بعدُ ولا تبعيد ، ولا قتل بعدُ ولا تشريد ، بل لم يصدر عنه غير الوعد والوعيد .

فطلب العافية ، وتوقّع العيش الآمن ، والخلاص من حكومة الظالمين ، ليس بكافٍ في هذه القضية أيضاً ، لأنّ كل هذه الأمور المذكورة لا تأتي بسهولة ومنذ البداية ، بل تحتاج إلى جهد مرير وجهاد كبير ، وإلى تحمّل صعاب جمّة ، وكذلك تحتاج إلى مدّة طويلة من الزمن حتى تستقر الأوضاع ، وتستتب الأمور للإمام عليه السلام .

فعلى الإنسان المؤمن أن يلتفت إلى هذه المسألة أشدّ الالتفات لئلّا يقع فيما وقع فيه الآخرون من الفشل والتراجع ، بسبب التفاتهم إلى الأمور التي لها طابع البشارة فقط ، وغفلتهم عن مواطن الخطر في هذا الطريق ، خصوصاً بعد الوقوف على تحذيرات أهل البيت عليهم السلام الشديدة من الابتلاءات ومضلات الفتن في الفترة المنظورة .

أمّا المسألة الأخرى التي لابدّ من التذكير بها هنا أيضاً ، هي إنّ هذه الرسالة لا تعتمد في نقلها للروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على الأسانيد من حيث الصحة والسقم ، فهي ليست من قبيل روايات الأحكام الشرعية التي تستوجب الفحص والتدقيق في ذلك .

إنما تعتمد هذه الرسالة على محاولة نقل الرواية المتعلقة بالموضوع المطروح للبحث ، ووضعها في الباب المختص بها ، في حال عدم تعارضها مع القرآن الكريم أو العقل السليم والسنن الإلهية ، أو كان هناك ما يسندها من الأمثال والقصص القرآنية والشواهد التاريخية .

وتحاول هذه الرسالة أيضاً أن تركّز على بعض الأحداث التاريخية المهمّة التي لها ارتباط وثيق بموضوع البحث ، وتستفيد من أوجه الشبه الموجودة بين تلك الأحداث وبين ما سيجري في هذه الفترة عموماً ، والفترة التي تسبق الظهور المبارك خصوصاً ، وذلك لما للحوادث التاريخية من أهمية بالغة في مجال أخذ الدروس والعبر ، فإنها

لا تجري هكذا جزافاً من غير قاعدة عامة ، أو قانون معيّن ، بل تخضع جميعها للسنن الإلهية الثابتة التي لا يعتريها شيء من التبديل أو التحويل .

ومن أجل ذلك جاء الحثّ في القرآن الكريم على السير في الأرض والنظر في عواقب ما سلف من الأمم والأقوام ، والنظر في عواقب بعض الأفعال والممارسات ، جاء الحثّ على ذلك من أجل الاستفادة وأخذ الدروس والعِبَر من تلك القصص ، ومن عواقب تلك الأحداث ، فلولا ذلك الثبات في السنن الإلهية لما أمكن الاعتبار ، ولما صحت المخاطبة بتلك القصص والممارسات .

قال تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1]

وقال أيضاً :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2]

وإنّ من أهم تلك الأحداث التي ركزت عليها هذه الرسالة ، والتي لها ارتباط وثيق بموضوع البحث ، وكذلك لها من أوجه الشبه الكثير،

---

١. يوسف ، ١١١ .

٢. الروم ، ٩ .

والتي تحمل في طيّاتها من الدروس البليغة والعبر الكثيرة والمفيدة ، وكأنّ عِبَر التاريخ كلّها ودروسه قد جُمعت فيها ، تلك الحادثة التي نعيشها في أغلب مناسباتنا الدينية ، لما جاء من التأكيد عليها وعلى إحياء ذكراها من قِبل أهل البيت عليهم السلام ، ولما لها من التأثير البالغ على عملية التغيير في المجتمع ، وعلى عملية التمهيد للظهور المبارك ، ألا وهي نهضة عاشوراء الإمام الحسين عليه وعلى أهل بيته وأصحابه آلاف التحيّة والثناء .

عبرة عاشوراء

إنّ التأكيد على قضية الإمام الحسين عليه السلام ، وكذلك التأكيد على زيارته في أغلب المناسبات ، وخصوصاً الزيارة التي يُستحب زيارته بها في كل يوم ، والمعروفة بزيارة عاشوراء ، إنّما يدلّ على أهمية هذه الواقعة بشكل عام ، وعلى أهمية هذه الزيارة بشكل خاص ، فصاحب البصيرة يعلم جيداً بأنّ هذه الدعوة وهذا التأكيد من قِبل أهل البيت عليهم السلام ، لابدّ وأن يحمل وراءه آثاراً مهمة ، وعلى المستويين الفردي والاجتماعي .

لقد بيّنت هذه الحادثة العظيمة معالم الطريق لسالكي سبيل النجاة ، ورسمت لهم الحدود ، ومهّدت لهم سبيل الوصول إلى برّ الأمان ، وبالشكل الذي لا يحتاج معه إلى بذل مجهود كبير ، أو تجشّم عناء كثير لمعرفته والوقوف عليه .

وقد تبيّنت الخطوط العريضة لهذه الواقعة وتلخّصت أحداثها في الزيارة المذكورة ، فإذا نظر اللبيب إلى الزيارة المباركة وجدها تدور حول محورين أساسيين كانت تدور حولهما كل الأحداث على أرض الواقع، وهما محورا التولّي والتبري ، وبقسميه القلبي والعملي .

فالملاحظ من الزيارة أنّها وضّحت للزائر ـ خصوصاً وأنّ المخاطب في القسم الأكبر من فقراتها هو الإمام الحسين عليه السلام ـ كيفية التعامل مع هذين الأصلين الأساسيين (التولّي والتبري) ، فيما يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل .

فظهر هذا التعامل في الزيارة بالنسبة إلى الواقعة كحدث تاريخي له زمانه ومكانه الخاصين به بصورة إبراز الحزن والأسى لعِظم المصاب وكِبر الرزية ، وإعلان البراءة من الذين قاموا بذلك الفعل الشنيع ، من خلال لعنهم والتبري منهم والدعاء عليهم .

وكذلك من خلال إعلان التولي في المقابل للطرف الآخر المتمثل بالإمام الحسين عليه السلام وبأهل بيته وأصحابه ، من خلال السلام والثناء عليهم ، ومواساتهم على مصابهم .

وهذا ما يختص بنفس الحدث والأطراف المعنيين به ، وهو لا يتجاوز حدّ اللسان والقلب ، وفي ذلك نصيب الإنسان وحظه من الولاية والبراءة القلبيتين .

أمّا بالنسبة إلى ما جاء في الزيارة بخصوص المستقبل الآتي ، والذي لا يتجاوز حدّ القلب واللسان أيضاً ، فقد جاء من خلال الدعاء بالتوفيق للأخذ بثأرهم مع الإمام المهدي عليه السلام ،

وطلب بلوغ مقاماتهم ومنازلهم في الدنيا والآخرة ، وكما جاء في الزيارة في هذا المجال :

(فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ ، وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ ، أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ ، وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ .)[1]

أمّا بالنسبة إلى المرتبة الأخرى المتعلقة بزمان الزائر ، والتي يتبيّن من خلالها الجانب العملي للمسألة ، فإنّها ظهرت بشكل واضح من خلال ما نخاطب به الإمام الحسين عليه السلام في المقطع من الزيارة الذي جاء فيه :

(يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .)[2]

وفيه يبيّن الزائر لمخاطَبه الإمام الحسين عليه السلام من خلال هذا المقطع من الزيارة موقفه تجاه طرفي القضية ، إلّا أنّ الملفت للنظر

---

١. مصباح المتهجد : ج٢ ، ص٧٧٥ .

٢. المصدر : ج٢ ، ص٧٧٤ .

والجدير بالانتباه ، هو أنّ هذا الموقف لا يتعلق بطرفي القضية الأصليين ، لمكان قوله : (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، وهذا يعني الخروج من الإطار الزماني والمكاني للحادثة .

فمن الواضح أنّ الذين حاربوا الإمام الحسين عليه السلام ليس لهم وجود في الأزمنة المتأخرة والبعيدة عن الحدث ، وأنّ الخطاب كذلك لم يكن من قبيل تمني المشاركة مع جانب الحق في حربه ضد الباطل ، كما نقرأ في بعض الزيارات ، فنقول : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ)[1] ، وكذلك ليست العبارة بصدد بيان العداء أو المحبة ، كما ورد في الفقرة الأخرى من الزيارة التي جاء فيها :

(إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ .)[2]

فالتفريق بين العبارات يدل على أنّ العداوة غير الحرب ، وهذا لا يحتاج إلى بيان ، فالظاهر من العبارة إذن هو إرادة الحرب والسلم بالفعل ، وهذا يعني أنّ الزائر في صدد بيان موقفه الفعلي من الموالين والمحاربين لهذا الخط الذي خطّه الإمام الحسين عليه السلام ، أولئك الذين لا يخلوا منهم عصر من العصور حتى قيام الساعة .

---

١. بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص١٦٦ .

٢. مصباح المتهجد : ج٢ ، ص٧٧٥ .

وقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام هذه الحقيقة بشكل واضح حين أخرج نهضته المباركة من إطارها الزماني والمكاني ، من خلال إعطائه القواعد العامّة والخطوط العريضة في كلماته وكتبه ، والتي جاء في بعضها ما روي عنه أنه قال :

{(أمّا بعد فقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لِحُرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنّة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل ، كان حقيقاً على الله أن يُدخله مدخله) ، وبعد ذكره عليه السلام لهذه القاعدة العامّة والموجهة لكل الأعصار والأمصار ذكر مصداقها في زمانه قائلاً : (وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولّوا عن طاعة الرّحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله .)}[1]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(ويزيد رجل فاسق شارب للخمر ، قاتل النفس المحرّمة ، معلنٌ بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله .)[2]

١. بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٣٨٢ .

٢. المصدر : ص٣٢٥ .

فلم يحصر عليه السلام مسألة البيعة به وبعدوّه خاصّة ، بأن يقول مثلاً: أنا لا أبايع يزيداً ، بل جعلها قاعدة عامّة وسنّة جارية ، يعمل بها كل من يسير على نهج الإمام الحسين عليه السلام ، فلا يبايع أمثال يزيد من الطواغيت والظلمة .

ومن أقواله الأخرى التي تؤكد هذا المطلب أيضاً ، هو قوله عليه السلام فيما روي عنه :

(ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقاً حقاً ، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا برما .)[1]

وهذا إن دلّ على شيء ، فإنه يدل على أنّ الحكم ما دام في أيدي الظالمين من أمثال يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ، وكذلك ما دامت الأرض لا تخلو من وجود الحجة بالأصالة أو بالنيابة ، وما دام هناك عدد كافٍ من الأنصار والأعوان من أهل الوفاء بالعهد ، والاستقامة على نصرة دين الله ونصرة أوليائه ، فإن هذه المواجهة بين الحق والباطل قائمة .

فلا يمكن أن تكون تلك العبارة التي أُجمِل فيها كل هذا المفصّل ، والتي جاءت الوصية بتكرارها ومخاطبة الإمام الحسين عليه السلام بها في كل

---

١. بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٣٨١ .

يوم ، مجرّد لقلقة لسان ، أو ادّعاء يدّعيه الزائر من دون قصد الحرب والسلم حقيقةً ، بل لابدّ أن يكون المقصود منها الحرب والسلم بالفعل ، وتحت راية من يمثل الحق في كل زمان .

فلو أنّ أشياع الإمام المهدي عليه‌السلام ، وكما جاء في رسالته إلى الشيخ المفيد قدس‌سره : **(على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم)**[١] ، وبالوفاء بما يخاطبون به الإمام الحسين عليه‌السلام ، أي لو كانوا عاشورائيين بالفعل ، لما تأخر عنّا الفرج ، ولتحقق الظهور من دون الحاجة إلى كل هذه الغيبة الطويلة .

فسبب غيبته عليه‌السلام كان حذراً من القتل الذي طال آباءه الطاهرين عليهم‌السلام بأجمعهم ، وذلك لعدم توافر العدد الكافي لهم من الحماة والمدافعين والأنصار الحقيقيين أمثال أصحاب الإمام الحسين عليه‌السلام ، وكيف يكون ذلك وهو المدخر لتلك المهمة الخطيرة ، وذلك الوعد الإلهي الكبير ، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ويُظهر الدين الحق على الدين كلّه : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢]

إنّ سبب اهتمام الأئمة عليهم‌السلام بقضية الإمام الحسين عليه‌السلام ، وتأكيدهم على زيارته بهذه الزيارة المباركة (زيارة عاشوراء) ، كان وكما

---

١. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص١٧٧ .

٢. الصف ، ٩ .

تقدّم بيانه ، بسبب وجود الآثار التي تترتب على ذلك ، وعلى المستويين الفردي والاجتماعي ، وهل يوجد أكبر من ذلك الأثر وعلى المستويين المذكورين من تحقق الوعد الإلهي ، أو إدراك الفرج ، حتى لو على المستوى الفردي بالنسبة إلى الموفين بالعهد والعاملين بالتكليف المطلوب في عصر الغيبة .

إنّ اهتمام أهل البيت عليهم السلام بهذه الحادثة لم يكن مقتصراً على إثارة الجانب العاطفي فيها ، بل أرادوا من خلال إثارة هذا الجانب لفت الأنظار إلى تلك الأبعاد الرئيسية والأهداف الحقيقية لهذه النهضة المباركة ، والتي لو اجتمعت عليها الأمّة لعادت للمسلمين عزتهم وكرامتهم ، وهو المطلوب .

إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً

إنّ من المسائل الجديرة بالاهتمام أيضاً ، والتي ينبغي الالتفات إليها في هذه القضية ، هي مسألة الاعتقاد بقرب الظهور ، أي الاعتقاد بإمكانية تحقق ظهور الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف في جميع الأوقات ، فمن الممكن أن يتم إصلاح أمره من قِبل الله سبحانه وتعالى وكما ورد في الخبر الشريف في ليلة واحدة ، وكذلك لما جاء في أحاديث المعصومين عليهم السلام من حثٍ على انتظاره وتوقّع ظهوره في كل يوم .

فقد روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال :

(وإنّ الله تبارك وتعالى يصلح أمره في ليلة .)[1]

وتكمن أهمية هذه المسألة في جعل الإنسان المؤمن في حالة من الترقّب والتأهب والاستعداد الدائمة والمستمرة ، أي أنّ هذا الأعتقاد يؤدي إلى حصول حالة الانتظار المطلوبة في هذه الفترة ـ فترة الغيبة الكبرى ـ والتي تُعدّ من أهم التكاليف الملقاة على عاتق الأمّة فيها .

---

١. بحار الأنوار : ج٥١ ، ص١٥٦ .

وإنّ عدم تحديد يوم معيّن للظهور كان من أجل ذلك أيضاً ، فلو كان قد عُيّن لهذا الأمر وقت لقست القلوب ، ولما حصلت تلك الحالة المطلوبة من الانتظار عند المؤمنين فى الفترات البعيدة عن اليوم المتعيّن ، ولأصابهم اليأس بسبب طول الأمد وانقطاع الأمل .

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال لعلي بن يقطين :

{(يا علي إنّ الشيعة تُربّى بالأماني منذ مائتي سنة .)... ،

فقال علي بن يقطين : **لو قيل (لنا) إنّ هذا الأمر لا يكون ألى مائتي سنة ، أو ثلاثمائة سنة، لقست القلوب ولرجعت عامّة الناس عن الإسلام ، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج .**}[1]

إنّ الاعتقاد بقرب الظهور يؤدي إلى العمل بالتكليف المطلوب في هذه الفترة ، والذي بدوره يؤدي إلى تهيئة الأرضية لتحقق الفرج ، لذا جاء الحث على توقّعه في كل آن ، فمَثل يوم الظهور ، وكما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام كمثل الساعة لا تأتي إلّا بغتة .

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه سُئل عن وقت خروج القائم عليه السلام ، فقال :

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٣٤١, ٣٤٢ .

(لقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال : إنّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلّا بغتة .)[١]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(وتوقّع أمر صاحبك ليلك ونهارك ، فإنّ الله كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن ، ذلك ربّ العالمين.)[٢]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(أقرب ما يكون العباد من الله جلّ ذكره ، وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله... ، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً .)[٣]

وروي عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال :

(إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج .)[٤]

وروي عن الإمام صاحب الأمر عليه السلام ، أنّه قال في رسالته الى الشيخ المفيد قدس سره :

(فإنّ أمرنا بغتة فجأة .)[٥]

---

١. كفاية الأثر : ص٢٥٠ .

٢. بحار الأنوار : ج٩٥ ، ص١٥٨, ١٥٩ .

٣. الكافي : ج١ ، ص٣٣٣ .

٤. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٨٠ .

٥. الاحتجاج : ج٢ ، ص٣٢٤ .

وهذا يعني أنّ توقّع الفرج وانتظاره ملازمان للغيبة ومنذ اليوم الأول من غيابه عليه أفضل الصلاة والسلام وحتى ظهوره .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(هلكت المحاضير) ، قال : قلت وما المحاضير ، قال : (المستعجلون ، ونجا المقرِّبون .)[١] بكسر الراء .

أي الذين يرون الفرج قريباً ، ونحن نقرأ كذلك في دعاء العهد في كل صباح هذه الفقرة :

(اللهُمَّ اكْشِفْ هذِهِ الغُمَّةِ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ بِحضُورِهِ ، وَعَجِّلْ لَنَا ظُهُورَهُ ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً .)[٢]

يقول السيد محمد تقي الأصفهاني رحمه الله في كتاب"مكيال المكارم":

(فإنّ المستفاد من الأخبار المروية عن الأئمة الأطهار عليهم السلام أنّه أخفي عن المؤمنين وقت الظهور ليكونوا منتظرين له في جميع الأزمنة والدهور .)[٣]

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص١٩٦ .

٢. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص٩٦ .

٣. مكيال المكارم : ج٢ ، ص١٤٧ .

دور علامات الظهور في التقريب المذكور

إنّ من الأمور التي تساعد على تحصيل تلك الرؤية المذكورة في الاعتقاد بقرب الظهور وتوقع الفرج ، هو وضع بعض الأحداث والوقائع التي تحدث خلال فترة الغيبة الكبرى كعلائم لظهور الإمام صاحب العصر عليه السلام .

فإنّ من أبرز موارد الفائدة من وضع العلامات على طول هذه الفترة ، هو شدّ المؤمنين إلى هذه القضيه الحياتية والمصيرية ، ودفعهم نحوها ، فكلما تحققت علامة من تلك العلامات تجدد عندهم الأمل بقرب ظهوره عليه السلام ، والذي يحملهم بدوره على الانتظار والاستعداد والتأهّب ، فالاهتمام بعلامات الظهور يُعدّ من علائم الإنسان المؤمن المنتظِر ، لأنها تذكّره بإمام زمانه ، وتجدّد عنده الأمل ، وتدفع عنه اليأس ، وتقرّب له البعيد ، وما إلى ذلك .

إنّ لموضوع علامات الظهور ، واهتمام أغلب الذين لهم علاقة بأخبار الإمام المهدي أرواحنا فداه بها ، ومحاولتهم لتطبيقها على واقعهم فالكلام فيه طويل ومتشعّب ، ولعلّ السبب في هذا الاهتمام يكمن في محاولة منهم لمعرفة وقت ظهوره عليه أفضل الصلاة والسلام

ولو بالأجمال ، حيث يتصور الكثير منهم بأنّ تحديد ذلك من خلال العلامات يعدّ أفضل وسيلة للوصول إلى معرفة الإمام عليه السلام ، وإلى نصرته واتّباعه .

إنّ لعلامات الظهور أهمية خاصة ، وكذلك هدف خاص وُضعت لأجله لكنها لا تتعداه ، فليست هي بالوسيلة التي توصل الإنسان إلى نصرة الإمام عليه السلام كما يظن البعض ، ولا من خلال معرفتها يمكن التخلّص من مهاوي الفتن والابتلاءات والعبور منها بسلام ، وكذلك لا يمكن من خلالها تحصيل البصيرة ، أو معرفة التكليف وتشخيص المطلوب في هذه الفترة .

والدليل على ذلك يمكن الوقوف عليه من خلال الرجوع إلى موقف أهل الكتاب من بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، فقد ورد في كتب التاريخ أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين سكنوا أطراف المدينة ، أنّهم جاؤوها وانتقلوا إليها من أرض الشام ، انتظاراً للنبي الموعود الذي نبّأت به رسلهم وكتبهم ، ولما كان لديهم من العلامات التي تشير إلى خروجه من هذه المنطقة .

لكن الذي حدث على أرض الواقع عندما أظهر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله دعوته ، وانطبق ما جاء في كتب القوم وأقوال متنبئيهم من العلامات عليه ، لم يستطيعوا تصديقه والإيمان به ، فضلاً عن نصرته

واتّباعه ، بل نابذوه وخاصموه وحاربوه ونصبوا له العداء حتى آخر أيام حياته الشريفة .

فهكذا كان موقفهم منه ﷺ بعد التشخيص والمعرفة منهم بحقّ المعرفة بأنه هو النبي الموعود الذي كانوا ينتظرونه ، وقد ورد في القرآن الكريم بخصوص هذه المعرفة ما جاء في قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١]

وفي قوله تعالى أيضاً :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]

أي أنهم عرفوا النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، وبهذا الوضوح ، لكنّ ذلك لم ينفعهم شيئاً ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ هذا الطريق ـ طريق معرفة العلامات ـ لا يوصل إلى الهدف المطلوب ، والمتمثل بالإيمان والتصديق بالموعود المنتظَر والتوفيق لنصرته واتّباعه . فكان على هؤلاء أن يسلكوا طريقاً آخر غير هذا الطريق كي يتمكنوا من الوصول إلى تلك الدرجة الرفيعة والمنزلة المنيعة .

---

١. البقرة ، ١٤٦ .

٢. الأنعام ، ٢٠ .

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يترك الأرض خالية من وجود الحجة طرفة عين ، نبياً كان هذا الحجة أم وصي نبي ، أو من ينوب عنهما في حال الغيبة وعدم الحضور ، وقد جعل النجاة في طاعته واتّباعه لا في تتبّع العلامات ، والذي بواسطته يتم التعرّف على الذي يأتي من بعده من الحجج ، فهو الذي يشير إليه ويبشّر به .

فالذي لم يتمكن من تشخيص الحق في زمانه ، ولم يتمكن كذلك من تشخيص الذي يجب عليه طاعته ، أو كان منكراً له أو مكذّباً لما جاء به ، فعليه أن لا يتوقع الإيمان بالذي يأتي من بعده من الحجج ، إلّا أن يُغيّر ما بنفسه ، ويُصلح ما كان السبب في فساد دينه ومعتقده .

قال تعالى :

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[١]

وقال أيضاً :

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢]

---

١. الأعراف ، ١١١ .

٢. يونس ، ٧٤ .

فسبب التكذيب وعدم التشخيص الصحيح يعود في الواقع إلى الإنسان نفسه لا إلى الحق ، لأنّ حجّة الله سبحانه وتعالى بالغة ، والحق مبين ، قال تعالى :

﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[١]

فالذي يريد الوصول إلى الحق ، عليه أن يبحث عن الحجة في زمانه أولاً وقبل كل شيء ، ويتعرّف عليه ، ثم يؤمن به ويلتزم بطاعته واتّباعه ، قبل أن يبحث عن علامات الذي يأتي من بعده من الحجج، فهذا هو طريق النجاة الذي لا يخلو منه عصر من العصور ، وذلك لعدم خلوّها من وجود الحجة طرفة عين .

روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال :

(من مات وهو لا يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية .)[٢]

وهذا إنما يصدق في زمن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، أمّا في حال الغيبة وعدم الحضور ، فيكون الرجوع في هذه الحالة إلى نائبهم الخاص المنصوب من قِبَلهم ، كالنواب الأربعة للإمام الحجة عليه السلام في غيبته الصغرى ، أو الرجوع إلى النائب العام المتصدي للأمور العامة في زمن الغيبة الكبرى .

---

١. الأنعام ، ١٤٩ .

٢. الإفصاح : ص٢٨ .

سبب الغيبة

يُعدّ ظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه الشريف وإمساكه بزمام الأمور من أكبر النعم الإلهية على المجتمع البشري ، وهذا ما لا خلاف فيه ، خصوصاً في مذهبنا نحن الإمامية الذين نعتقد بإمامته عليه السلام وبولايته وعصمته .

إلّا أنّ الكلام هنا يقع في سبب سلب هذه النعمة الكبرى ، وعدم تحققها طوال هذه الفترة المديدة من غيبته عليه السلام ، مع أن الله سبحانه وتعالى كان قد جعل من خلافة أهل البيت عليهم السلام للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله إكمالاً لدينه وإتماماً لنعمته ، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله بإبلاغ ذلك الأمر المهم ، قال تعالى :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1] ، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2]

---

١. المائدة ، ٣ .

٢. المائدة ، ٦٧ .

فجعل سبحانه وتعالى من إبلاغ هذه المسألة مفتاحاً لقبول إبلاغ الرسالة كلّها ، وليس ذلك إلّا لمكان أهميتها من بين المسائل والأحكام الإسلامية الأخرى .

يقول العلّامة الطباطبائي قدس سره في كتاب "الميزان في تفسير القرآن" في تفسير قوله تعالى :

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1] :

(فليس استلزام عدم تبليغ هذا الحكم لعدم تبليغ غيره من الأحكام إلّا لمكان أهميته ووقوعه من الأحكام في موقع لو أهمل لكان ذلك في الحقيقة إهمالاً لأمر سائر الأحكام ، وصيرورتها كالجسد العادم للروح التي بها الحياة الباقية والحس والحركة .)[2]

وقال أيضاً :

(فالكلام موضوع في صورة التهديد وحقيقته بيان أهمية الحُكم ، وإنّه بحيث لو لم يصل إلى الناس ، ولم يُراعَ حقّه كان كأن لم يُراع حق شيء من أجزاء الدين .)[3]

---

١. المائدة ، ٦٧ .

٢. الميزان في تفسير القرآن : ج٦ ، ص٤٦ .

٣. المصدر : ج٦ ، ص٤٩ .

فما هو السر في عدم تحقق هذا الأمر الخطير والبالغ الأهمية إلى يومنا هذا ؟ ولماذا سُلبت الأمّة هذه النعمة الكبرى التي جعلها الله سبحانه وتعالى خالصة لها ؟ وهل يمكن للحكيم أن يأمر بشيء ثمّ يكون هو المانع من تحقّقه ؟

إنّ كمال الشريعة ، وعصمة الإمام عليه‌السلام ، وأمر الله ورسوله بتولي الأئمة عليهم‌السلام زمام الأمور بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، لم تُبقِ معها أيّ شك في أنّ عدم تحقق هذه المسألة ، عائد إلى عدم تقبّل الأمّة لهذا الأمر ، وعدم استحقاقها لهذه النعمة .

إنّ الذي أقعدهم عليهم‌السلام عن تولي زمام الأمور هو تفرّق الأمّة عنهم وترك نصرتهم لهم ، وقد صرّح الأئمة عليهم‌السلام بذلك مراراً ، فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام أنه قال :

(لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر .)[1]

وروي عنه عليه‌السلام أيضاً أنه قال :

(أما والله لو وجدت أعواناً لقاتلتهم .)[2]

---

١. ألإفصاح : ص٤٦ .

٢. الرسائل العشر : ص١٢٤ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(أمّا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت .)[١]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود . قال سدير : نزلنا وصلينا ، فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر .)[٢]

وروي عنه عليه السلام كذلك :

(وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنّما نتّقي ، ولكانت التقيّة أحبّ إليكم من آبائكم وأمهاتكم .)[٣]

وقد ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم المبعث هذا المقطع :

(وَحِيْنَ وَجَدَ أنْصاراً نَهَضَ مُسْتَقِلّاً بِأعْبَاءِ الخِلَافَةِ ، مُضْطَلِعاً بِأثْقَالِ الإمَامَةِ .)[٤]

---

١. مناقب آل أبي طالب : ج٣ ، ص٣٦٣ .

٢. الكافي : ج٢ ، ص٢٤٣ .

٣. وسائل الشيعة : ج١١ ، ص٤٨٣ ، الباب ٣١ ، الحديث٢ .

٤. بحار الأنوار : ج٩٧ ، ص٣٨٠ .

وروي عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه قال :

(وقد جعل الله هارون في سعةٍ حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل الله النبي في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم ، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمّة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً ، وإنّما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .)[١]

وما إلى ذلك من الأقوال الأخرى التي تشير إلى سبب عدم قيامهم للإمساك بزمام الأمور وتولي أمر خلافتهم للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله . والجملة الأخيرة في الحديث الشريف تدل على أنّ هذه المسألة تُعدّ من السنن الثابتة التي تجري في باقي الأئمة عليهم السلام ، ومن ينوب عنهم أيضاً ، فهم جميعاً في سعة من الله حين لم يجدوا أعواناً ، وحين تركتهم الأمّة وبايعت غيرهم ، وهو نفس السبب الذي أقعد خاتمهم وقائمهم عليه السلام ، وجعله في هذه السعة .

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)[٢]

---

١. الاحتجاج للطبرسي : ج٢ ، ص٨ .

٢. الأحزاب ، ٦٢ .

يقول السيد حيدر الآملي قدس سره في كتاب "المقدمات من كتاب نصّ النصوص" بالنسبة إلى سبب غيبة الإمام أرواحنا فداه :

(**لا يجوز أن يكون ذلك السبب من الله تعالى ، لكونه مناقضاً لغرض التكليف ، ولا من الإمام نفسه ، لكونه معصوماً ، فوجب أن يكون سبب الغيبة من الأمّة** ... إلى أن قال : **والظهور واجب عند عدم سبب الغيبة .**)[1]

ويقول أيضاً في نفس المصدر :

(**فليس من الله ولا منه (عليه السلام) بل من عدم الناصر وقلة المعين ، فإذا حصل الناصر وظهر المعين وجب عليه الظهور والقيام بالأمر المأمور به . وجميع الأنبياء والأولياء كانوا كذلك ، أعني كانوا محتاجين إلى الناصر والمعين.**)[2]

ويقول الشيخ المفيد قدس سره في كتاب "النكت الاعتقادية" عن وجه استتاره عليه السلام :

(**وجه استتاره لكثرة العدو وقلّة الناصر** ... إلى أن قال في الجواب على أنّ في عدم ظهوره عليه السلام إخلالاً باللطف الواجب عن الله سبحانه : **إنّما الإخلال بالواجب من قِبَل**

---

١. المقدمات من كتاب نص النصوص : ص٢٥٤ .

٢. المصدر : ص٢٥٣ .

الرعية فإنّهم يجب عليهم أن يتابعوه (يبايعوه) ويمتثلون أوامره ونواهيه ويمكّنوه من أنفسهم .)[١]

ويقول العلّامة الحلّي ﷺ في كتاب "الباب الحادي عشر" :

(فأمّا المصلحة استأثر الله بعلمها ، أو لكثرة العدو وقلّة الناصر، لأنّ حكمته تعالى وعصمته عليه السلام لا يجوز معهما منع اللطف ، فيكون من الغير .)[٢]

ويقول الخواجة نصير الدين الطوسي ﷺ في "تجريد الاعتقاد" :

(وجوده لطف وتصرّفه آخر وعدمه منّا .)[٣]

أي أنّ وجوده عليه السلام لطفٌ ، وتصرّفه لطفٌ آخر ، إلّا أنّ عدم تصرفه المباشر فهو منّا ، أي بسبب تقصيرنا ، لأنّ تصرّف الإمام عليه السلام لا ينحصر في حاكميته وولايته الظاهرية كما لا يخفى .

فلا يوجد إذن من قِبله تعالى ولا من طرفهم عليهم السلام أيّ مانع يمنع من تحقّق هذا الأمر ، وهو إمساكهم بزمام الأمور ، إنّما المانع هو من طرف الأمّة وبسبب تخلّفها عنهم عليهم السلام ، وعدم استحقاقها لهذه النعمة العظيمة .

---

١. النكت الاعتقادية : ص٤٥ .

٢. الباب الحادي عشر : ص١٠٤ .

٣. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ص٤٩٠ .

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قاعدة عامّة وسنّة ثابتة في هذا المجال ، بيّن من خلالها الملاك في تغيّر الوضع الحاكم في الأمّة والتحولات الحاصلة فيها من خلال قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]

فالتغيرات الحاصلة في الوضع الحاكم في المجتمع إنّما تعود في الواقع إلى التغيّر الحاصل في نفوس الأمّة ، وإنّ الله سبحانه وتعالى إنما يعطي ويمنع على أساس الاستحقاق وعدمه ، ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[2].

وقال تعالى أيضاً :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرَاً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3]

فليس من شأنه تعالى أن يغيّر نعمة كان قد أنعمها على عباده ، أو أن يسلبها منهم ، ما لم يكن في ذلك علّة منهم ، وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(وأيمُ الله ما كان قومٌ قط في غضّ نعمةٍ من عيش ، فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها ، لأنّ الله ليس بظلّامٍ للعبيد.)[4]

---

١. الرعد ، ١١ .

٢. الشورى ، ٣٠ .

٣. الأنفال ، ٥٣ .

٤. بحار الأنوار : ج٦ ، ص٥٧ .

فذنوب الناس إذن وتقصيرهم تجاه أنبيائهم وأئمتهم عليهم السلام كان هو السبب في حرمانهم من كل ما جعله الله سبحانه وتعالى خالصاً لهم من البركات والنعم .

وقد روي عن الإمام الحجة أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه الشريف أنه قال في رسالته إلى الشيخ المفيد قدس سره :

(ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا ، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم .)[1]

فليس من سنّته تعالى أن يُغيّر تلك النعمة الكبرى ، بعد أن أعطاها ذلك الاهتمام البالغ ما لم يكن سببه عدم استحقاق الناس أنفسهم لها ، وليس من سنّته تعالى أيضاً أن يُغيّر ما كان قد أمر به ودعا إليه ، ما لم يكن سببه عدم وفاء الأمّة بالعهد المأخوذ عليها بولاية من أمر الله سبحانه وتعالى بولايتهم ونصرتهم .

---

١. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص١٧٧ .

الادّعاء

إنّ مسألة الادّعاء ليست من المسائل الجديدة ، أو التي تختص بالقضية المطروحة للبحث ، فالماضي والحاضر يعجّان بالذين ادّعوا ويدّعون ، وفي مختلف المجالات ، إلا أنّ المهم في هذه المسألة هو حقيقة هذا الادّعاء ومقدار ما يحكيه من الواقع ، فالفرق واضح بين سهولة الادّعاء الذي لا يتجاوز حد اللسان ، وبين صعوبة التطبيق الذي يحتاج إلى بذل مجهود وإنجاز عمل .

ولا يمكن أيضاً تشخيص صحة ادّعاء المدّعي إلّا من خلال الاختبار ، فلا يحسب الذي يدّعي أمراً أن يُتقبل منه هكذا من غير امتحان ، فالقول وحده غير كافٍ لإثبات صحة المدّعى ، إنّما يتبيّن من خلال الامتحان مقدار صدق المدّعي والتزامه بالذي يدّعيه .

ولطالما حدّثنا التاريخ ، وشاهدنا في حاضرنا المعاصر الكثير من الذين ادّعوا أموراً ثمّ لم يتمكنوا من الثبات والاستقامة عليها في مجال العمل والاختبار ، وخصوصاً عندما يكون لموضوع الادّعاء أهمية خاصة ، ويتطلب إنجازه بذل مجهود كبير .

ولقد حدّثنا القرآن الكريم عن نموذج تتجلى فيه هذه الظاهرة بشكل واضح ، وذلك في قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1]

فالآية الكريمة في غاية الوضوح ، ولا تحتاج إلى تبيين أو تفسير بالنسبة إلى ما ادّعاه هؤلاء من أمر القتال في سبيل الله ، ومن ثمّ توليهم عنه عندما كُتب عليهم ، فادّعاؤهم لم يكن كافياً في إثبات صحة المدّعى .

إنّ عدم التزام الإنسان بما يقوله ويدّعيه نابع في الواقع من ضعفٍ في إرادته ، فقد يكون الإنسان مؤمناً من الناحية النظرية بالأمر الذي يدّعيه ، لكنه قد يضعف في مجال العمل لأسباب مختلفة تمنعه من أدائه بالشكل المطلوب .

فليس كل من ادّعى أمراً ثم لم يستقم عليه يصح الحكم عليه بالكذب ، فهنالك من المواطن التي ينبغي على الإنسان أن يبيّن فيها

---

١. البقرة ، ٢٤٦ .

رأيه ومعتقده ، إلّا أنّه قد يفشل في مجال العمل والتطبيق أن يثبت على قوله ومدّعاه .

إنّ الجدار المحكم والسد المنيع قد يثبتان أمام السيل العارم ، لكن وجود ثغرة واحدة ، أو منفذ صغير واحد يمكن للماء أن ينفذ من خلاله قد يتسبب في انكسار السد أو انهدام الجدار .

وكذلك الشيطان الرجيم ، فإنّه يتربص للإنسان وينتظر منه الفرصة المناسبة للنفوذ إلى قلبه ، وخصوصاً في المواقف الحرجة والحساسة ، والتي يحتاج الإنسان فيها أن يكون قاطعاً وحازماً في تصميمه وإرادته .

وإنّ الذي يمكّن الشيطان من النفوذ إلى قلب الإنسان ، هو ما في ذلك القلب من الثغرات ومواطن الضعف ، والتي غالباً ما يرجع سببها إلى بعض ما كسبه الإنسان من الأعمال ، فيستزلّه من خلالها ليحرفه عن الجادّة الحقّة وعن الصراط المستقيم .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾[1]

---

١. آل عمران ، ١٥٥ .

وقال كذلك :

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾[١]

إنّ هذا وغيره من الأسباب قد يقف مانعاً يعيق الإنسان عن العمل بمقتضى ما يعتقده ويؤمن به ، وإنّ الناس ليسوا على درجة واحدة من حيث الإيمان والعمل الصالح ، أو من حيث الصبر والتحمّل ، وكذلك من حيث العزم والإرادة ، لذا تجدهم يختلفون في أدائهم أيضاً .

---

١. الروم ، ١٠ .

شواهد من التاريخ

ومن الشواهد الأخرى التي حدّثنا عنها التاريخ ويمكن الاستشهاد بها في هذا الباب ، هو ادّعاء أحد الخراسانيين في محضر الإمام الصادق عليه‌السلام وهو يسأله عن سبب قعوده عن حقّه في الوقت الذي ـ وبحسب ادّعائه ـ يوجد له من شيعته في خراسان مائة ألف كلّهم يضربون بين يديه بالسيف .

فأجلسه الإمام عليه‌السلام وأمر بأن يسجروا التنور ، وعندما سُعّر التنور واشدت حرارته طلب منه الإمام عليه‌السلام أن يدخل فيه ، فخاف الرجل وطلب من الإمام أن يقيله ، عندها دخل أحد أصحاب الإمام عليه‌السلام فقال له الإمام :

{ **(ألقِ النعل من يدك واجلس في التنور)** ، فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور ، وبعد هنيئة التفت الإمام عليه‌السلام إلى الرجل الخراساني وقال له : **(كم تجد بخراسان مثل هذا)** ، قال : والله ولا واحداً ، فقال عليه‌السلام : **(أمّا إنّا لا**

نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت)} [١] .

وإنّ من الشواهد الأخرى المهمّة التي برزت فيها هذه المسألة بشكل واضح ، أعني مسألة الادّعاء الخالي من الاستقامة ، والتي كان لها الأثر الكبير على نتائج تلك الحادثة ، هي ما جرى في قضية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه مع الذين ادّعوا نصرته والوقوف معه من أهل العراق .

فقد ادّعى أهل الكوفة استعدادهم لاستقبال الإمام الحسين عليه السلام ونصرته ، وإعانته على الأخذ بزمام الأمور في الكوفة ، فكتبوا له الرسائل ، وأرسلوا الرسل ، وأبرموا العهود والمواثيق ، وبايعوا على نصرته والقيام معه والدفاع عنه ، وما إلى ذلك .

إلّا أنهم لم يكتفوا بنقض العهود والمواثيق ، ونكث البيعة والرجوع عمّا كانوا قد ألزموا به أنفسهم فحسب ، بل خرجوا لقتاله وجرى ذاك الذي جرى في كربلاء .

وقد احتجّ الإمام الحسين عليهم بكتبهم ورسائلهم عدّة مرات ، وكانوا قد خذلوا رسوله مسلم بن عقيل قبل ذلك ، بل أسلموه للقتل بعد البيعة والعهد والميثاق أيضاً .

---

١. مناقب آل أبي طالب : ج٣ ، ص٣٦٣ .

فقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه كتب لأشراف الكوفة كتاباً بعثه لهم مع قيس بن مسهر الصيداوي بعد مقتل مسلم بن عقيل ، جاء فيه :

(وقد أتتني كتبكم وقدِمَت عليّ رسُلكم ببيعتكم ، أنّكم لا تُسلموني ولا تخذلوني ، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظّكم ورشدكم... ، فلكم بي أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم وخلعتم بيعتكم ، فلعمري ما هي منكم بِنُكر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي ، والمغرور من اغترّ بكم ، فحظّكم اخطأتم ، ونصيبكم ضيّعتم ، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم والسلام.)[1]

وكان من جملة ما احتج به الإمام الحسين عليه السلام على أهل الكوفة في يوم عاشوراء ، ما روي عنه أنه قال :

(تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً ، وبؤساً لكم ، حين استصرختمونا ولهين ، فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا ، وحشمتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا ، فأصبحتم ألباً على أوليائكم ، ويداً

---

١. بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٣٨٢ .

لأعدائكم... ، أفهؤلاء تعضدون ، وعنّا تتخاذلون !؟ أجل والله خذلٌ فيكم معروف ، نبتت عليه أصولكم... ، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون العهد بعد توكيدها ، وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً .)[1]

فقد تبيّن أنّ الادّعاء قبل الابتلاء ، وفي وقت العافية والرخاء لا يعطي صورة حقيقية للواقع الذي تكون عليه الأمّة المدّعية ، فمن السهل جداً على الإنسان أن يدّعي أموراً كثيرة ؛ لأنّ ذلك لا يكلّفه أكثر من تحريك لسانه ، إلّا أنّ الثبات والاستقامة على تلك المدّعيات هي التي تمثل المحك في الواقع ، وخصوصاً في مواطن الابتلاء وساعات الشدّة .

فالدين ما لم يتجاوز حدّ اللسان سرعان ما يفقده صاحبه بالامتحان ، وخصوصاً في المواطن التي يحتاج فيها الناس إلى بذل الأموال والأنفس ، وليس ذلك إلا بسبب التعلّق بزخارف الدنيا ، والخوف من مفارقتها ، ومفارقة لذّاتها الزائفة .

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال :

(الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم ، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون .)[2]

---

١. الاحتجاج : ج٢ ، ص٢٤ .

٢. بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٣٨٣ .

وهذا ما وقع فيه أهل الكوفة وأمثالهم على مر التاريخ بعد الابتلاء ويعد التمحيص بالبلاء . وهنا قد يقول البعض بأنّ أهل الكوفة لم يشاركوا بأجمعهم في قتل الإمام الحسين عليه السلام ، أو في قتل مسلم بن عقيل عليه السلام حتى نطلق الكلام باتهامهم .

الجواب : نعم ، ليس كل أهل الكوفة قاموا بتلك الجريمة ، فمنهم من وُفّق لنصرة الإمام الحسين عليه السلام ، ومنهم من كان في السجن ، أو كان في خارج المدينة ، إلّا أنّ الكلام هنا يدور حول الأكثرية ، وحول تلك الأعداد الغفيرة التي نقضت العهد وخذلت الحق ، ونكثت البيعة بعد توكيدها ، خصوصاً وأنّ الغلبة كانت لهم من حيث العدّة والعدد .

هذا في الوقت الذي لم يكُ فيه تهديد حقيقي يتهدّدهم من قِبَل عدوهم الذي كان متحصّناً داخل قصر الإمارة ، سوى بثّ الشائعات وإطلاق الوعود .

ويمكن الاستدلال على صحة نسبة القتل إلى أهل الكوفة ، وتثبيته في صحيفتهم ، هو ما ورد في القرآن الكريم من نسبة عقر ناقة ثمود إلى جميع الأمّة ، والتي شملتها العقوبة أيضاً تبعاً لذلك ، مع أنّ الفاعل كان شخصاً واحداً لا أكثر .

قال تعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾[١]

فكيف وأنّ الذين تسبّبوا بتلك الفاجعة المروعة تجاوز عددهم الآلاف المؤلفة ، هذا بالإضافة إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أول من أطلق الكلام في اتهامهم في خطبهم وكلماتهم ، وهذا لا يعني أنّ الكل مشمول بهذا الإطلاق ، إنما المقصود منه الأغلبية والأكثرية التي خذلت الحق وآلت بها الأمور إلى الوقوف في صف الأعداء .

فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قام خطيباً بعد دخول السبايا إلى الكوفة ، فكان مما قال في خطبته :

{ (أيها الناس ناشدتكم بالله ، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة ، وقاتلتموه وخذلتموه ؟ فتبّاً لما قدّمتم لأنفسكم...).

فقال الناس بعد أن ارتفعت أصواتهم : يا بن رسول الله... إنّا حرب لحربك وسلم لسلمك ، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا ، فقال عليه السلام : (هيهات هيهات أيها الغدرة

---

١. الشمس ، ١٤,١٥ .

المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل .)}[١]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال عند دخول السبايا إلى الكوفة وكان الناس ينوحون ويبكون :

(أتنوحون وتبكون من أجلنا !؟ فمن قتلنا !؟)[٢]

وروي عن زينب الكبرى عليها السلام أنّها قالت بعد أن أدخلوا السبايا إلى الكوفة ، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا :

(أمّا بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر ، أتبكون ؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة ، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً... ، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون وتنتحبون ؟ إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها... ، ويلكم يا أهل الكوفة أيّ كبدٍ لرسول الله فريتم ، وأيّ كريمةٍ له أبرزتم ، وأيّ دمٍ له سفكتم ، وأيّ حرمةٍ له انتهكتم .)[٣]

---

١. بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص١١٣ .

٢. المصدر : ص١٠٨ .

٣. المصدر : ص١٠٩ .

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال :

(خطبت فاطمة الصغرى بعد أن رُدّت من كربلاء ، فقالت : ... أمّا بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا...، فكذّبتمونا وكفرّتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً .)[1]

وروي عن أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام أنها خطبت في ذلك اليوم أيضاً ، فقالت :

(يا أهل الكوفة سوأة لكم ، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله وورثتموه ، وسبيتم نساءه ونكبتموه ، فتباً لكم وسحقاً ، ويلكم أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم ؟ وأيّ وزر على ظهوركم حملتم ؟ وأيّ دماء سفكتموها ؟ وأيّ كريمة أصبتموها ؟ وأيّ صبية سلبتموها؟ وأيّ أموال انتهبتموها ؟)[2]

وروي عن مسلم بن عقيل عليه السلام أنه لـمّا اقتادوه إلى ابن زياد عليه اللعنة طلب من محمد بن الأشعث وهم في الطريق ، أن يبعث بشخص إلى الإمام الحسين عليه السلام ليبلّغه عن لسانه ، ويقول له :

---

١. بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص١١٠ .

٢. المصدر : ص١١٢ .

(إنّ بن عقيل أسير في أيدي القوم ، لا يرى أنه يمسي حتى يُقتل ، وهو يقول : ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك، ولا يغرّك أهل الكوفة ، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل ، إنّ أهل الكوفة قد كذبوك وليس لمكذوبٍ رأي .)[١]

وكان من أقوال أصحاب الحسين عليه السلام في هذا المجال ، هو ما روي عن برير بن خضير بعد أن أذن له الإمام الحسين عليه السلام بمخاطبة القوم ، فكان من جملة ما قال لهم :

(ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها ، يا ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم ، وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم ، حتى أتوكم أسلمتموهم إلى بن زياد ، وحلأتموهم عن ماء الفرات ، بئس ما خلفتم نبيكم في ذريته ، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة ، فبئس القوم أنتم .)[٢]

وروي عن زهير بن القين أنه قال مخاطباً جيش بن زياد :

(يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار... .)[٣]

---

١. الإرشاد للشيخ المفيد : ج٢ ، ص٥٩ .

٢. بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٥ .

٣. معالم المدرستين : ج٣ ، ص٩٧ .

وروي عن الحر الرياحي أنه قال للقوم بعد أن أذن له الإمام الحسين عليه السلام :

(يا أهل الكوفة لِأمّكم الهبل والعبر ، أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه ! وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه .)[1]

وروي عن عَمْر بن الحجاج عليه اللعنة ، وهو أحد قادة جيش بن زياد أنه قال وهو يخاطب عسكره :

(يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين .)[2]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لمحمد بن الأرقط :

{**تنزل الكوفة** ؟ قلت : نعم ، قال : **فترون قتلة الحسين** عليه السلام **بين أظهركم** ؟ قال : قلت : جُعلت فداك ما رأيت (بقي) منهم أحداً ، قال : **فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا من قَتل ، أو من ولي القتل ، ألم تسمع إلى قول الله ﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ**

---

١. بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص١١ .

٢. المصدر : ص١٩ .

إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١] ، فأيّ رسول قبل (قتل) الذين كان محمد ﷺ بين أظهرهم ، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول ، إنما رضوا قتل أولئك فسمّوا قاتلين .}[٢]

وغيرها من الأقوال والمواقف والأحداث الأخرى الكثيرة التي تشير بأجمعها إلى تورط أهل الكوفة في تلك الجريمة التي انهدّت لها أركان العرش ، والتي لم يشهد لها التأريخ من مثيل ، وقد مرّت عليك بعض أقوال الإمام الحسين عليه السلام في هذا المجال ، فراجع[٣] .

---

١. آل عمران ، ١٨٣ .

٢. تفسير العياشي : ج١ ، ص٢٠٩ .

٣. راجع ص٥٣ .

علّة الدخول في بحث الادّعاء

أمّا بالنسبة إلى وجه العلّة من الدخول في بحث الادّعاء والخوض في تفاصيله، هو أنّ امتحان الأمّة المذكور في هذه الفترة ـ فترة الغيبة الكبرى ـ يختص بالذين يدّعون الإيمان بولاية صاحب هذا الأمر عليه السلام دون غيرهم ، وهذا ما سيأتي بيانه مفصّلاً في الأبواب اللاحقة إن شاء الله تعالى .

إنّ الذي ندّعيه اليوم لا يختلف كثيراً عن ادّعاء أهل الكوفة في تلك الفترة ، فنحن أيضاً ندّعي ولاية إمامنا عليه السلام وانتظاره ، وندّعي استعدادنا لنصرته والقيام معه ، وندّعي كذلك إعانته على إقامة دولة الحق ، وندعوه بالتعجيل في القدوم والظهور ، مجددين له العهد والبيعة في كل يوم ، حيث نقول في دعاء العهد :

(اللهُمَّ إنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هذا وَمَا عِشْتُ مِنْ أيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلا أَزُولُ أَبَداً .)[1]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص٩٦ .

إنّ كل هذا الذي ندّعيه في هذه القضية ، هو أمر مطلوب بحدّ ذاته ، ذلك بأن يُصرّح الإنسان بمعتقده وبما يؤمن به ، وبما ينبغي عليه فعله ، خصوصاً في هذه المسألة المهمة بالذات ، وقد ورد الترغيب في ذلك أيضاً على لسان أهل البيت عليهم السلام ، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

(القائل منكم أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته ، كان كالمقارع معه بسيفه ، لا بل كالشهيد معه .)[1]

إلّا أنّ المهم في هذا المجال ، هو الثبات على هذا القول وهذا الادّعاء عند المحك ، وعند الامتحان والتمحيص ، وعند ظهوره أرواحنا فداه ، وهو المطلوب .

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٦٤٤ .

الامتحان والتمحيص

تتحدث الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن الامتحان الذي سوف تتعرض له الأمّة في فترة الغيبة الكبرى لصاحب العصر والزمان عليه السلام ، وما سيجري عليها من التمحيص والتمييز والغربلة ، وخصوصاً في الفترة التي تسبق الظهور المبارك ، لكي يصفو من خلال كل ذلك من الأمّة من سيكون له شرف الأهلية لإدراك الفرج ، ومن دون فرق بين إدراك ظهوره عليه السلام وعدمه .

إنّ هذا التمحيص الحاصل في الأمّة ، وهذا الامتحان ، هو في الواقع ليس سوى التكليف المتعيّن على الأمّة في هذه الفترة ، ذلك التكليف الذي لم يختلف على مرّ العصور إلّا من حيث التفاصيل ، أو من حيث الشدّة والضعف لا أكثر ، وسوف يتبين ذلك من خلال البحث بشكل مفصّل إن شاء الله تعالى .

وإنّ المتتبع لهذه الأخبار الواردة في هذا المجال يقف على خطورة هذا الأمر وهذا الاختبار ، وخصوصاً في تلك الفترة الحساسة التي تسبق الظهور بالذات ، وبالشكل الذي لا يثبت بسببه على هذا

الأمر ، وكما جاء في تعبير الروايات : إلّا الأقل الأندر ، أو الكبريت الأحمر ، على رغم كثرة الذين يدّعونه ويعتقدونه .

فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال :

(وأمّا الأخرى (الغيبة الكبرى) فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به .)[1]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنّه قال :

(هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ، يقولها ثلاثاً ، حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو.)[2]

وعنه أيضاً عليه السلام :

(في أي شيء أنتم ، هيهات هيهات لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحّصوا ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تميّزوا ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تغرّبلوا ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلّا بعد إياس ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد .)[3]

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٢٣ .

٢. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١١٣ .

٣. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٠٩ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام كذلك أنه قال :

(إذا خرج القائم (عليه السلام) خرج من هذا الأمر من كان يرى أنّه من أهله .)[1]

وهناك الكثير من الأحاديث الأخرى في هذا المجال ، والتي سيأتي بيانها في الأبواب اللاحقة إن شاء الله تعالى ، والتي تشير أيضاً إلى خطورة هذا الامتحان ، وإلى شدّة الابتلاء ، وقلة الناجين منه .

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٣١٧ .

اختصاص الامتحان بالمؤمنين

إنّ الذي يؤكد ما تقدّم ذكره في الأبواب السابقة ، وهو الظاهر من الروايات الشريفة أيضاً، أنّ المخصوص بهذا الامتحان والتمحيص، هم المؤمنون بهذا الأمر الذين يدّعون ولاية الإمام صاحب العصر أرواحنا فداه ، ويدّعون انتظاره ونصرته ، وإليك بعض المقاطع من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي ورد فيها لفظ المؤمنين :

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

{ والذي بعثني بالحق بشيراً ، إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر . فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ؟ قال صلى الله عليه وآله : إي وربّي ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[1] }[2] ، أي أنّ المخصوص بهذا التمحيص بحسب الآية الشريفة هم أهل الإيمان .

---

١. آل عمران ، ١٤١ .

٢. كمال الدين وتمام النعمة : ص٢٨٨ .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

(وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ، ويمسي وقد خرج منها ، ويمسي على شريعة من أمرنا ، ويصبح وقد خرج منها .)[١]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(إنّ قدّام قيام القائم علامات بلوى من الله تعالى لعباده المؤمنين .)[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً :

(ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقده ، يمسي أحدكم مؤمناً ويصبح كافراً ، فالله في أديانكم .)[٣]

وعنه عليه السلام كذلك :

(وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم .)[٤]

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٠٦, ٢٠٧ .
٢. المصدر : ص٢٥٠ .
٣. رسائل في الغيبة للشيخ المفيد : ص١٣ .
٤. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٣ .

فلعلّ لقائل أن يقول بأنّ الشيعة بالمعنى الأعم هم المعنيون بتلك القلّة الواردة في الروايات ، وذلك لقلّة عددهم بالنسبة إلى سكان المعمورة ، وأنّهم هم الذين سوف ينجون من تلك الفتن ، ويوفّقون بالتالي لنصرة إمام زمانهم عليه السلام .

إلّا أنّ الأمر ليس كذلك ، لأنّ الامتحان المذكور إنما هو جارٍ فيهم خاصّة ، وهذا لا يعني أنّ غيرهم ليسوا في معرض الامتحان أو الابتلاء ، إنما المقصود هو أنّهم المعنيون بهذا التمحيص الخاص ، وبسبب ادّعائهم في هذا المجال ، وقد مرّ بيان ذلك في موضوع امتحان المدّعي .

وهذا ما سوف يتبيّن أيضاً وبشكل واضح من خلال الأمثلة التي ضربها أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال ، أو من خلال استعمالهم للفظ الشيعة في أحاديثهم التي كانوا يحذّرون فيها مخاطبيهم من الامتحان المذكور .

هذا فضلاً عن الأحاديث الكثيرة الأخرى التي وردت بصيغة المخاطب ، والتي يُفهم من خلال سياقها أنّ المخاطب فيها هو عامّة شيعتهم عليهم السلام ، وإليك بعض المقاطع من الروايات التي ورد فيها لفظ الشيعة :

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

(يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان .)[١]

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

(أما إنكم لن تروا ما تحبون وما تأملون يا معشر الشيعة حتى... .)[٢]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين)[٣]

وعنه أيضاً عليه السلام أنه قال :

(وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرّها الفتنة .)[٤]

وقد سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام قائلاً : كيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون أنهم يتشيعون ؟ قال عليه السلام :

(فيهم التمييز ، وفيهم التمحيص ، وفيهم التبديل .)[٥]

---

١. بحار الأنوار : ج٣٦ ، ص٢٥٠ .

٢. المصدر : ج٢ ، ص٧٩ .

٣. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٠٦ .

٤. المصدر : ص٢١١ .

٥. المصدر : ص٢٠٣ .

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة... .)[١]

وعنه أيضاً عليه السلام :

(وهو المنتظر غير أنّ الله تعالى يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون .)[٢]

وعنه عليه السلام كذلك :

(ألا إنّ شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته ، هناك يثبّت الله على هداه المخلصين .)[٣]

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي : ص١٧٢ .

٢. المصدر : ص٣٣٤ .

٣. بحار الأنوار : ج٣٦ ، ص٤٠٩ .

السبب في امتحان الشيعة وأهل الإيمان

إنّ السبب في اختصاص الامتحان والتمحيص بالشيعة وأهل الإيمان ، هو أنّهم هم الذين يدّعون انتظار الإمام عليه السلام في غيبته ، ويدّعون نصرته عند ظهوره ، وقد تبيّن أنّ الادّعاء وحده غير كافٍ لإثبات صحة المدّعى ، ولا يمكن تشخيصه أيضاً إلّا من خلال الامتحان والاختبار ، وأنّ ظهور الإمام الحجة أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه الشريف لا يتحقق إلا بعد اجتماع العدد الكافي من الأنصار الحقيقيين الممتحنين ، لا الذين اكتفوا بالادّعاء الخالي من الثبات والاستقامة .

وقد أقرّ القرآن الكريم هذه المسألة أيضاً بشكل واضح ، أعني امتحان الذي يدّعي الإيمان من خلال قوله تعالى في الآيات الكريمة من سورة العنكبوت :

﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [1]

---

١. العنكبوت ، ١ و ٢ .

وقد استشهد الإمام الرضا عليه السلام بهذه الآيات الكريمة بعد ذكره للتمحيص الحاصل للشيعة قبل الفرج ، فقد روي عنه أنه قال :

{(لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتى تميّزوا وتمحّصوا فلا يبقى منكم إلا القليل . ثم قرأ : ﴿الم * أَحَسِبَ...﴾ }[1]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال في حديث آخر :

{أما والله لا يكون الذي تمدّون إليه أعينكم حتى تميّزوا وتمحّصوا ، وحتى لا يبقى منكم إلّا الأندر . ثم تلا الآية : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[2] }[3]

فقوله عليه السلام : (لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم) و (أعينكم) ، أي لا يكون الذي تنتظرونه من الفرج وظهور الإمام عليه السلام حتى يحصل ذلك التمحيص ، والكلام موجّه إلى شيعته عليه السلام ، لأنّ الذي يمد عنقه وعينه هو المترقّب المنتظِر كما لا يخفى .

---

١. الإرشاد : ج٢ ، ص٣٧٥ .

٢. براءة ، ١٧ .

٣. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١١٣ .

امتحان أصحاب نوح عليه السلام

ومن الشواهد التاريخية الأخرى التي تؤكّد ما تقدّم ذكره في هذا الباب والأبواب السابقة ، هو ما جرى على المؤمنين من أصحاب نوح عليه السلام ، والمعتقدين بنبوّته من الاختبار والامتحان والغربلة .

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام وفي حديث طويل له ، بيّن من خلاله أوجه الشبه بين ما جرى على أمم الأنبياء عليهم السلام ، وما سوف يجري على هذه الأمّة ـ أمّة الإمام المهدي عليه السلام ـ فكان ما يختصّ من حديثه بنبيّ الله نوح عليه السلام هذا النص :

﴿أمّا إبطاء نوح عليه السلام ، فإنّه لمّا استنزل العقوبة من السماء بعث الله عزّ وجلّ الروح الأمين (عليه السلام) بسبع نويات ، فقال : يا نبي الله إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك :

(إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلّا بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجة ، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإنّي مثيبك عليه ، واغرس هذا النوى ، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا

أثمرت الفرج والخلاص ، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين .)

فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوّقت وتغصّنت وأثمرت وزهى الثمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العِدَة ، فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد ، ويؤكد الحجة على قومه ، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به ، فارتدّ منهم ثلاثمائة رجل ، وقالوا : لو كان ما يدّعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربّه خُلف .

ثم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كل مرّة بأن يغرسها مرّة بعد أخرى ، إلى أن غرسها سبع مرّات ، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد(وا) إلى نيف وسبعين رجلاً .}[1]

وللحديث تتمّة ، بيّن الإمام الصادق عليه السلام من خلالها نقلاً عن الباري عزّ وجل وجه العلّة من هذا الامتحان ، وبيّن فيه كذلك أوجه الشبه بين امتحان أصحاب نوح عليه السلام وبين امتحان الأمّة قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٥ .

وإنّ الملفت للنظر في هذه القصة هو ما سيأتي فيها من أوجه الشبه هذه بين هذا الامتحان الذي جرى على أصحاب نوح عليه السلام وذاك الذي سوف يجري على هذه الأمّة .

وهذا لا يعني بأنّ الامتحان سوف يتكرر بنفس تلك الصورة من الجزئيات والتفاصيل ، بل المقصود من التشابه هنا ، هو التشابه من حيث الشدّة في الابتلاء ، وتعدّد المراحل ، وكذلك من حيث النتائج الخطيرة المترتبة عليه ، وما إلى ذلك من الثوابت الأخرى التي لها قابلية الجري في التاريخ بسبب ثبات السنن الإلهية .

وهذا ما يدعو إلى التأمّل والتدبّر ، وإلى أخذ الدروس والعبر من تلك الأحداث ، ولكي لا نقع في ما وقع فيه أصحاب نوح عليه السلام وأمثالهم من الخسران المبين ، وهنا تكمن العلّة من إخبارهم عليهم السلام بمثل هذه الأخبار .

قد يقف الإنسان المؤمن والحريص على دينه متحيّراً عندما يطّلع على مثل هذه الأحداث ، فيتسائل : كيف استطاع المؤمنون من أصحاب نوح عليه السلام تحمّل ذلك الاختبار الكبير !؟ خصوصاً بعد كل تلك المدة الطويلة التي تحتاجها النواة حتى تصبح شجرة مثمرة ، وكما جاء في الحديث الشريف : (وزهى الثمر عليها بعد زمن طويل) ، والتي كان نوح عليه السلام وأصحابه يبشّرون فيها أنفسهم بالفرج ، وينذرون قومهم بقرب نزول العذاب والعقاب ، ولكن الذي حصل عندما

أينعت الأشجار وزهت وأثمرت ، هو بقاء الأمور على حالها التي كانت عليه ، ومن دون تغيير يُذكر ، حيث لم يحصل الفرج ، ولم ينزل العذاب .

فكيف واجه المؤمنون قومهم بعد انقضاء المدّة ؟ خصوصاً وأنّ طائفة منهم كانت قد ارتدّت وقالت : (لو كان ما يدّعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربه خُلف) ، بل كيف واجهوهم بعد تكرر الحالة لمرّات ومرّات !؟

فقد تكرّرت المسألة سبع مرّات ، وكانت تخرج في كل مرحلة منها مجموعة من المؤمنين ، فكلما تكرّرت الحالة اشتدّ الابتلاء على البقيّة الباقية من المؤمنين ، وضعفت حجّتهم ولو ظاهراً ، وازدادت شوكة الكافرين ، حتى لم يبق من شيعة نوح عليه السلام إلّا ذلك العدد القليل من أهل بيته وأصحابه .

نعم لم يبق منهم إلّا تلك القلّة القليلة من أصحاب الإيمان القوي واليقين الراسخ والمعرفة الحقيقية ، التي لا يؤثر فيها الابتلاء مهما اشتدّ وعَظُم ، ومهما تكرّر وطالت مدّته .

وقد صرّح بذلك الناجون من خلّص أصحاب نوح عليه السلام في رواية أخرى وردت عن الإمام الصادق عليه السلام ذكِر فيها تكرّر غرس النوى لعشر دفعات ، حيث قالوا لنبيّهم عند العاشرة :

(يا نبيّ الله فعلت بنا ما وعدت أو لم تفعل فأنت صادق نبيّ مرسل لا نشك فيك .)[1]

إنّ الذي يرى الشمس في رائعة النهار ، لا يستطيع أهل الأرض ولو اجتمعوا أن يقنعوه بعدم وجودها ، فما نجا من أصحاب نوح عليه السلام إلّا أهل اليقين والبصائر الذين يرون الحق بذلك الوضوح الذي لا ريب فيه ، ولا شك يعتريه .

---

١. بحار الأنوار : ج١١ ، ص٣٤٠ .

خلاصة القصة

يمكن تلخيص ما جاء في هذا المقطع من القصة في النقاط التالية:

١- إنّ الامتحان كان مختصّاً بالذين كانوا يدّعون الإيمان بنوح عليه السلام دون غيرهم .

٢- إنّ الامتحان كان في نفس موضوع الادّعاء ، أي فيما يترتب على ما كانوا يدّعونه لنبيّهم من الإيمان والتصديق به .

٣- إنّ الامتحان كان على شكل مراحل ، كانت تشتدّ وتصعب كلما تقدّمت .

٤- استمرار عملية التمحيص حتى بقي من الأصحاب من لا يؤثر فيه الامتحان مهما طالت مدته ، أو ازدادت شدّته .

٥- إنّ الناجين من هذا الامتحان هم القلّة من المؤمنين من أصحاب اليقين والبصائر .

٦- إنّ الذين فشلوا في الامتحان ولم يستقيموا على أمر الدين ، إنّما كان بسبب ضعف إيمانهم ويقينهم .

مثال أمير المؤمنين عليه السلام

وإنّ من جملة ما يؤكد ما تقدّم ذكره كذلك ، هو ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الامتحان والفتنة في حديث له جاء فيه :

(وسأضرب لكم مثلاً ، وهو مثل رجل كان له طعام ، فنقّاه وطيّبه ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس[1] ، فأخرجه ونقّاه وطيّبه ، ثم أعاده إلى البيت ، فتركه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصاب طائفة منه السوس ، فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً ، وكذلك أنتم تميّزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً .)[2]

إنّ في هذا المثال الذي ضربه أمير المؤمنين عليه السلام تأكيداً على ما سبق ذكره في هذا الباب ، ففساد الطعام كان على مراحل أيضاً ،

---

١. السوس : العث وهو دود يقع في الصوف والخشب والثياب والحبوب فيفسدها .

٢. بحار الأنوار ج٥٢ ص١١٦ .

وتبعاً لجودة الطعام ودرجة سلامته ، ثم انتقل الإمام عليه السلام من المثال إلى الممثَّل ، فقال :

(وكذلك أنتم تميّزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً) .

أي أنّ هذا الاختبار سيبقى جارياً فيكم لمكان قوله عليه السلام : (ولم يزل كذلك) ، وعلى شكل مراحل لا تنتهي حتى تبقى العصابة التي لا تضرها الفتنة شيئاً ، أي لا يضرّها الامتحان والاختبار شيئاً ، فهم في مأمن مما يصيب ضعاف الإيمان من التزلزل والتردد والاضطراب والرجوع والارتداد .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنه قال :

(إنّما مثل شيعتنا مثل أندر ـ يعني بيدراً فيه طعام ـ فأصابه آكل فنقّي ، ثمّ أصابه آكل فنقّي ، حتى بقي منه ما لا يضرّه الآكل ، وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرّها الفتنة .)[1]

فإذا أردنا أن نبحث عن مصداق لهذه الأمثلة ، فيكفينا الرجوع إلى قصة أصحاب نوح عليه السلام ، لنرى انطباق هذه الأمثلة عليهم بشكل واضح وكبير ، خصوصاً فيما يتعلق بتراجعهم وارتدادهم

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢١١ .

الجماعة تلو الأخرى كلّما اشتدّ الابتلاء والتمحيص ، حتى بقيت تلك العصابة التي لم تضرّها الفتنة شيئاً .

فالذي تريد أن تبيّنه هذه الأمثلة التي ضربها الإمام أمير المؤمنين والإمام الباقر عليهما السلام ، هو شدّة الابتلاء الذي سوف تُبتلى به هذه الأمّة التي تنتمي إلى هذا الأمر وتدّعي الإيمان به ، وكما جاء في حديث الإمام الباقر عليه السلام حيث قال : (إنما مثل شيعتنا... . وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون) .

مثال

يمكن تقريب المطالب التي مرّ ذكرها إلى الذهن من خلال مثال يتوضّح فيه سبب الامتحان ، وسبب اختصاصه بالمدّعي ، وغيرها من الأسباب الأخرى التي سبق بيانها .

فلو افترضنا أنّ معلّماً للتربية الرياضية في إحدى المدارس أراد أن ينشئ فريقاً لكرة القدم ، فإنّ الذي عليه أن يقوم به أولاً هو دعوة الطلاب الذين لهم الخبرة والمعرفة بفنون هذه اللعبة في تلك المدرسة إلى الالتحاق بهذا الفريق .

فلو أنّ نصف طلاب المدرسة ادّعوا تلك الخبرة والمهارة ، فهل سيكون ادّعاؤهم هذا كافياً لقبولهم من قِبل معلّم الرياضة ، خصوصاً وأنّ العدد المطلوب لهذه اللعبة ينحصر في عدّة معينة وقليلة ؟

من الواضح أنّ معلّم الرياضة سوف لن يكتفي بادّعاء هذا العدد الكبير من الطلاب ، بل سوف يبدأ باختبارهم على شكل مراحل يتدرج فيها من المراحل السهلة حتى تنتهي إلى الأصعب فالأصعب ، حتى يستطيع من خلال ذلك أن ينتخب الأكمل والأفضل في هذا المجال من بين أولئك الذين ادّعوا هذه المهارة .

أمّا بالنسبة إلى النصف الآخر من طلاب المدرسة فلا معنى من اختبارهم في ذلك ، لأنّهم لم يدّعوا استعدادهم أو معرفتهم بفنون اللعبة ، إلّا أنّ هذا لا ينفي عنهم باقي الامتحانات الأخرى التي يتعرضون لها في المدرسة ، أمّا بالنسبة إلى هذا الامتحان الخاص فإنّهم غير معنيين به أصلاً .

أمّا موارد الاستفادة من هذا المثال فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١- إنّ الادّعاء غير كافٍ في إثبات المدّعى .

٢- عدم اعتماد المعلّم في انتخاب اللاعبين على مجرد ادّعائهم .

٣- إنّ الذي يجري عليه الاختبار هو المدّعي فقط .

٤- إنّ الاختبار يكون على شكل مراحل تتدرّج من المراحل السهلة إلى الصعبة .

٥- إنّ الاختبار كان خاصاً ، أي يتعلق بموضوع خاص ولغرض خاص أيضاً .

٦- لا معنى من امتحان غير المدّعي في هذا المجال الخاص ، ولكن لا ينفيه عنه في المجالات الأخرى .

٧- إنّ الذي يدعو إلى أمر خاص ، أو يحتاج إلى مواصفات خاصة ، عليه أن يضع امتحاناً لقبول من يدّعي ذلك التخصص أو تلك المواصفات .

٨- إنّ خروج المجاميع من المدّعين الواحدة تلو الأخرى في مراحل الاختبار كان بحسب مستوياتهم في معرفة فنون كرة القدم ، باعتبار أنّ المطلوب هو الأفضل والأكمل في هذا الفن .

٩- إنّ عملية الاختبار تبقى مستمرة حتى يمتاز العدد المطلوب عن بقية المدّعين في المرحلة الأخيرة منه .

١٠- إنّ مادة الامتحان تنحصر في موضوع الادّعاء فقط .

١١- إنّ المنتخَب من كل المجموع يمثل الأفضل في هذا المجال .

شدّة الابتلاء

لقد تبين من خلال البحث استمرار عملية التمحيص والغربلة في الأمّة حتى يستخلص من بين جميع الذين يدّعون هذا الأمر تلك الصفوة التي لا تضرها الفتنة شيئاً ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على شدة هذا الابتلاء وهذا التمحيص ، أمّا بالنسبة إلى السبب في هذه الشدّة فيمكن الوقوف عليه من خلال الرجوع إلى حديث الإمام الصادق عليه السلام وإلى ما ذكره فيه من أسباب ذلك الاختبار الذي جرى على أصحاب نوح عليه السلام ، حيث قال فيما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح عليه السلام بعد الامتحان :

«فلو أنّي أهلكت الكفار وأبقيت من ارتدّ من الطوائف التي كانت آمنت بك ، لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك ، واعتصموا بحبل نبوتك بأن أستخلفهم في الأرض وأمكّن لهم دينهم وأبدّل خوفهم بالأمن ، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك (الشرك) من قلوبهم . وكيف يكون الاستخلاف

والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق ... إلى أن قال تعالى فيما لو كان قد أبقى على الذين ارتدوا إلى زمن الاستخلاف :

لاستحكمت سرائر نفاقهم ، وتأبدت حبال ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة ، وحاربوهم على طلب الرئاسة والتفرّد بالأمر والنهي ، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر (الأمن) في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب .كلا ، فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا .)

فقال الصادق عليه السلام :

وكذلك القائم (عليه السلام) فإنه تمتد أيام غيبته ليصرّح الحق من محضه ، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام .}[1]

فتبيّن من خلال هذه التتمة للحديث الشريف السبب من وراء هذا الامتحان ، وتبيّن كذلك السبب في شدّته أيضاً ، والذي يتمثّل

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٥ .

بوجود من لا يستحق حياة الاستخلاف والتمكين الذي وعد الله سبحانه وتعالى به المؤمنين من قوم نوح عليه السلام .

فكان خروج الطوائف التي ارتدّت في مراحل الامتحان بسبب ما كان يُخشى من ظهور علائم الظلم والطغيان ، وظهور أمارات النفاق والشقاق ، وأمارات طلب الرئاسة والتفرّد بالأمر عليهم إذا ما أحسّوا بالتمكين الحاصل في زمن الاستخلاف .

فقد لا يصدر من كثير من الناس ما ينافي العفّة ما دامت الأمور على حالها الطبيعي والاعتيادي ، ولكن ما إن يُمتحنوا بمال أو جاه أو سلطة حتى تضعف أمانتهم وتبين خيانتهم ، فالناس ليسوا على درجة واحدة من الإيمان ، أو من حيث الالتزام والثبات خصوصاً في ساعات الابتلاء والمحنة .

ومن هنا صار واضحاً وجه العلاقة بين ما جرى على قوم نوح عليه السلام وأصحابه خاصة ، وبين ما سوف يجري على هذه الأمّة في الفترة التي تسبق الفرج ايضاً ، فقد وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين في عهد القائم عليه السلام أيضاً بأن يستخلفهم في الأرض ويمكّن لهم فيها، وكما جاء في كتابه الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [1]

ولكنّ ذلك لا يكون إلّا بعد ارتداد من لا يستحق تلك النعمة أيضاً ، ذاك الذي لا يؤتمن فيما إذا فُتحت البلدان ، وأحسّ بنشوة النصر ولذة الغلبة ، وصارت أعراض الناس ودماؤهم وأموالهم في قبضته وتحت سيطرته من دون رقيب أو حسيب .

فقد سمعنا الكثير ، وقرأنا في التاريخ كذلك ، وشاهدنا في حاضرنا المعاصر أيضاً ما فعلته الجيوش الغازية والفاتحة من الفساد والتخريب والسرقة ، وأنواع الجرائم والانتهاكات في حق المستضعفين من النساء والشيوخ والأطفال .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [2]

فهل الذين يقترفون مثل هذه الأعمال هم جميعهم من أصحاب السوابق في الجريمة ؟ أم أنّ ابتلاء القدرة والتمكين والهيمنة هو الذي أعطاهم الجرأة على القيام بتلك الأعمال ؟

---

١. النور ، ٥٥ .

٢. النمل ، ٣٤ .

إنّ الجيوش تضمّ في تشكيلاتها عادةً خليطاً من كافة طبقات المجتمع ، ومن مختلف مستوياته العلمية والاجتماعية ، الذين لا يُتوقّع من أكثرهم اقتراف مثل تلك الجرائم قبل الابتلاء والامتحان ، لكن المشهود عندما تتمكّن الجيوش الغازية من دخول بلدة ، وتصير زمام أمورها بأيديهم غير ذلك .

وهذا ما لا ينبغي وقوعه في جيش الإمام المهدي عليه السلام ، لأنّه يختلف تماماً عمّا تكون عليه الجيوش الأخرى ، فهو على مستوى عالٍ من الإيمان والتقوى والخلق الرفيع ، وبالشكل الذي لا تؤثر فيه مثل تلك الزخارف والمؤثرات ، ولا تخرجه عن حد الاعتدال ، لما يضم في صفوفه من المؤمنين الممحصين الذين لا تضرهم الفتنة شيئاً .

فيكونون بذلك دعاةً للإسلام من خلال تعاملهم مع المستضعفين في تلك البلدان المفتوحة ، خصوصاً عندما يرون أنّ جنود الإسلام كانوا أمناء على أعراضهم ، وعلى أموالهم وممتلكاتهم ، بل كانوا يمنعون كل من يريد التعرّض لها من داخل تلك البلدان أيضاً ، فيكون ذلك سبباً من أسباب هدايتهم ودخولهم في الإسلام، وهو المطلوب .

أمّا موارد الاستفادة من تتمة الحديث الشريف ، فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١- إنّ الامتحان كان يختص بشيعة نوح عليه السلام دون غيرهم .

٢- إنّ الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين لم يكن ليشمل جميع المؤمنين ، بل كان للخاصة منهم الذين أخلصوا لله التوحيد واعتصموا بحبل نبوّة نبيّهم صلى الله عليه وآله ، وكما جاء في الحديث القدسي : (لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوّتك) .

٣- إنّ ارتداد الآخرين كان بسبب ضعف إيمانهم ويقينهم : (وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا) ، أي أنّ الناجين هم أهل اليقين الذين لا يعتريهم الشك بنبيّهم .

٤ - تخليص العبادة من الشك في زمن الاستخلاف : {لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك (الشرك) من قلوبهم} ، أو تخليصها من الشرك ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : (الذين أخلصوا التوحيد) .

٥- إنّ غيبة القائم عليه السلام سوف تمتد حتى يصفو الإيمان من الكدر ، لكي يصدق الوعد الإلهي كذلك باستخلاف المؤمنين ، والتمكين لهم في الأرض ، لكن بعد ارتداد الذين يُخشى عليهم النفاق في عهد القائم عليه السلام ، وكما جاء في الحديث الشريف .

وقد ورد نعت القلّة الناجية من الامتحان والتمحيص في الفترة التي تسبق الظهور المبارك لصاحب العصر ﷺ بالإخلاص أيضاً في أحاديثهم ﷺ .

فقد روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال :

(ألا إن شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة . هناك يثبّت الله على هداه المخلصين .)[١]

وروي عن الإمام الرضا ﷺ أنه قال :

(ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين .)[٢]

---

١. بحار الأنوار : ج٣٦ ، ص٤٠٩ .

٢. المصدر : ج٥١ ، ص١١٠ .

مراحل الامتحان

إنّ تفاوت الناس في مستوياتهم ودرجاتهم من حيث الإيمان والاعتقاد والعمل ، يجعل الامتحان متفاوتاً أيضاً وبحسب تلك المستويات ، وكما مرّ في امتحان أصحاب نوح عليه السلام ، وكذلك كان واضحاً أيضاً في مثال الطعام الذي ضربه أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّ إصابة الطعام بالسوس كان على مراحل وتبعاً لنوعية ذلك الطعام وجودته ، حتى بقيت تلك الرزمة التي لا يضرّها السوس شيئاً .

إنّ الملاحظ من الأمثلة المذكورة ، هو استمرار عملية الاختبار حتى يبقى من الطعام ما لا يضرّه السوس شيئاً ، ومن الأصحاب ما لا تضرّه الفتنة شيئاً ، وإنّ هدف أهل البيت عليهم السلام من نقل القصة وضرب المثال ، هو بيان ما سيجري على هذه الأمّة في الفترة التي تسبق ظهور الإمام عليه السلام بالخصوص ، وبالنحو الذي مثّلوه من حيث الشدّة ، أو من حيث المراحل التي لا تتناهى حتى تبقى تلك الصفوة التي لا تضرّها الفتنة شيئاً .

وهذا ما حصل بالفعل أيضاً مع سيد الشهداء ومسلم بن عقيل عليهما السلام في الكوفة ، فعلى الرغم من كثرة الذين كاتبوا الإمام عليه السلام ،

وكثرة الذين بايعوا مسلم بن عقيل عليه السلام ، إلّا أنهم حين التمحيص بالبلاء ، وحين الامتحان والاختبار بدأوا يتفرقون عنهما الجماعة تلو الجماعة ، فعند كل تجدد حادثة ، أو بث شائعة ، كانت ترجع طائفة منهم وترتد أخرى ، حتى لم يثبت مع مسلم بن عقيل منهم غير هاني بن عروة ، ومع الحسين عليه السلام غير تلك الصفوة المعروفة ، وبتعبير الرواية الشريفة : **(العصابة التي لا تضرّها الفتنة شيئاً)** .

كثرة المرتدين

إنّ الذي يلفت النظر في هذه القضية ، هو كثرة المرتدّين والمنحرفين عن سواء السبيل ، وبالتالي يعني قلّة الناجين ، والارتداد هنا يعني الرجوع عمّا كان عليه الإنسان من الحق ، وإنّ الذي يدل على أنّهم كانوا على الجادة الحقة ثم انحرفوا وارتدّوا ، هو قول أهل البيت عليهم السلام وتصريحهم بذلك .

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(وتأملت منه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم .)[1]

وهنا يصرّح الإمام عليه السلام بكونهم من المؤمنين ، إلا أنّ أكثرهم سوف يرتدّ عن الدين بسبب الابتلاء وضعف الإيمان وتولّد الشكوك في قلوبهم ، وإليك مقاطع أخرى من الأحاديث الشريفة التي وردت عنهم عليهم السلام ، والتي تفي بهذا الغرض :

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٣ .

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال :

(أمّا الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به .)[١]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(إذا خرج القائم (عليه السلام) خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله .)[٢]

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً أنه قال :

(فالله الله في أديانكم . فإنه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبها حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به .)[٣]

وروي عن الإمام الجواد عليه السلام كذلك أنه قال :

(لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته.)[٤]

فكيف يمكن لكل هؤلاء أن يرتدّوا عن دينهم في الوقت الذي نستغرب فيه عند سماعنا بارتداد شخصٍ واحدٍ من المؤمنين إذا ما خلع لباس الإيمان عن نفسه وتخلّى عن معتقداته وعمّن كان يتولى !؟

---

١. بحار الأنوار : ج٥١ ، ص١٣٤ .

٢. الغيبة للشيخ النعماني : ص٣١٧ .

٣. الغيبة للشيخ الطوسي : ص١٦٦ .

٤. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٧٨ .

فإن قال قائل بأنّ الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[١] ، أو يقول في المقابل : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢] ، أي أنّ ذلك ليس بالأمر الغريب أو المستبعد .

فالجواب : نعم ، هذا صحيح وهو حال أكثر الناس على مرّ العصور ، إلّا أنّ المسألة هنا قد اختلفت كثيراً لأنّها تتكلم عن ارتداد ورجوع جماعي ودفعي وسريع ، ففي كل مرحلة من مراحل الابتلاء تخرج مجموعة كبيرة من الناس وترتد عن دينها .

فهل أنّ هؤلاء جميعاً سوف يتركون صلاتهم وصيامهم وولاءهم بهذه السرعة ؟ أم أنّ هناك صورة أخرى لخروجهم من الدين هي المنظورة في كلامهم عليهم السلام ؟

---

١. المؤمنون ، ٧٠ .

٢. سبأ ، ١٣ .

المرتد لا يعلم بارتداده

لعل من أكبر الابتلاءات التي ستبتلى بها الأمّة في هذه الفترة ، هي مسألة الارتداد والخروج عن الجادّة الحقّة في الوقت الذي يحسب فيه الإنسان أنّه لا زال عليها . إنّ هذه المسألة وكبقية المسائل الأخرى لا ينفرد بها زمان دون آخر ، فلهذه المسألة أيضاً مصاديقها وشواهدها الكثيرة في التاريخ .

فلو رجعنا إلى فترة ما بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فإننا نرى بأنّ الذين تخلّفوا عن بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهم الأكثرية من المسلمين ، لم يتركوا صلاتهم وصيامهم وأعمالهم العبادية الأخرى ، وكذلك لم ينكروا نبوة الأنبياء ورسالات الرسل ، وكانوا لا يزالون يعتقدون بوحدانية الله سبحانه ونبوّة النبيّ الأكرم ﷺ .

إلّا أنّهم اتخذوا موقفاً لا تنفع معه تلك الاعتقادات والعبادات ، وهو خذلانهم للحجة في زمانهم وتركهم بيعته بعد نص النبيّ الأكرم ﷺ وتأكيده على ذلك .

قال تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[1] .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(ارتدّ الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثة نفر .)[2]

وهكذا الحال بالنسبة إلى الذين تخلّفوا عن الإمام الحسن عليه السلام ، فإنهم لم يتركوا ما كانوا عليه من العبادات ، وإنّ الذين خذلوا مسلم بن عقيل عليه السلام أيضاً لم يتركوا عباداتهم وما كانوا يعتقدون ، ظنّاً منهم ومن خلال ما التمسوه لأنفسهم من الأعذار ، أنهم لا يزالون على جادة الحق ، وأنّ عملهم هذا لا يؤثر على دينهم شيئاً ، لأنهم قد جعلوا من خوفهم على أنفسهم وأهليهم وممتلكاتهم ذريعة ومبرراً لتركه وخذلانه .

إنّ خروج مثل تلك الأعداد الكبيرة المذكورة بسبب الفتنة هو من هذا القبيل ، وذلك بأن تتخذ أمّة من الأمم ، أو مجموعة كبيرة من الناس ونتيجة لظرف خاص أو فتنة كبيرة ، موقفاً يخرجهم به من

---

١. آل عمران ، ١٤٤ .

٢. الاختصاص : ص٦ .

ولاية الله إلى ولاية الشيطان من دون أن يشعروا ، ومن دون أن يتركوا ما كانوا قد اعتادوا عليه من الأعمال العبادية والطقوس الدينية .

فالذي يترك معتقداته وعباداته ويتخلى عن دينه ، فإنّه يعلم بخروجه من الدين ، غير أنّ الأول ولبقائه على ما اعتاد عليه ، فإنه يخرج من الدين وهو لا يعلم بخروجه منه ، وذلك بسبب تلبيس الشيطان والنفس الأمارة من خلال خلق الأعذار والمبررات ، ولعل أفضل ما يمكن وصفهم به ، هو ما جاء في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1]

وقد ورد في الحديث الشريف المروي عن الإمام الباقر عليه السلام بيان هذه المسألة على أحسن وجه ، والذي جاء فيه :

(لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين ، وإنّ صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى يخرج منها ، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ، ويمسي وقد خرج منها ، ويمسي على شريعة من أمرنا ، ويصبح وقد خرج منها .)[2]

---

١. الكهف ، ١٠٤ .

٢. الغيبة للشيخ للنعماني : ص٢٠٦ .

لاحظ التمثيل والتشبيه في الحديث الشريف ، فصاحب العين عندما يكتحل ويقع شيء من الكحل في عينه ، فإنه يشعر بذلك ، لأنه يحس بحرقة وأذى في عينه ، لكنه لا يعلم متى يخرج ذلك الشيء القليل من الكحل منها ، ثم يأتي الإمام عليه السلام بالممثَّل ليطابقه مع المثال ، فيقول : (وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ، ويمسي وقد خرج منها) ، وبالعكس ، وهذا يعني وبحسب المثال الذي ضربه عليه السلام أنّ الرجل يدري بكونه على الشريعة ولكنه لا يعلم بخروجه منها ، وبتلك السرعة التي ذكرها الإمام عليه السلام .

يقول الشيخ النعماني رحمه الله في كتاب الغيبة تعليقاً على هذا الحديث الشريف :

(فتبينوا يا معشر الشيعة هذه الأحاديث المروية عن أمير المؤمنين ومن بعده من الأئمة (عليهم السلام) واحذروا ما حذّروكم، وتأملوا ما جاء عنهم تأمّلاً شافياً ، وفكّروا فيها فكراً تنعمونه ، فلم يكن في التحذير شيء أبلغ من قولهم إنّ الرجل يصبح على شريعة من أمرنا ويمسي وقد خرج منها ، أليس هذا دليل على الخروج من نظام الإمامة وترك ما كان يعتقد .)[1]

---

١. المصدر السابق : ص٢٠٧ .

إنّ أهمية هذه المسألة ، وخطورتها كذلك تكمن في أنّ هذا الأمر سوف يقع في فترة الغيبة الكبرى ، وقبل ظهور الإمام عليه السلام ، فلابدّ من الالتفات إلى هذه المسألة أشدّ الالتفات ، كي لا نقع في مثل هذه الابتلاءات ومن دون أن نشعر ، فلطالما سمعنا وقرأنا في التاريخ كيف يوجّه من خذل الحق ونصر الباطل عمله من خلال إعطائه صبغة دينية وشرعية ، من قبيل ادّعاء العمل بالاحتياط ، وما إلى ذلك من المسائل التي يمكن حملها على محمل الدين .

سرعة الارتداد والخروج من الدين

تُعدّ هذه المسألة من المسائل التي لها أهمية خاصّة ، وذلك بسبب خطورتها وخطورة عواقبها ، فالسرعة التي تحدّثت عنها الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام جديرة بالاهتمام والتأمّل .

إنّ الارتداد والخروج من الدين غالباً ما يكون بصورة تدريجية وعلى شكل مراحل ، وذلك بأن يفقد الإنسان عناصر إيمانه شيئاً فشيئاً لتحلّ محلّها الأهواء والتعلّقات والوساوس .

أمّا بالنسبة إلى الارتداد الذي ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بخصوص الفترة المنظورة فليس كذلك ، فقد تحدّثت عن ارتداد جماعي وسريع ، وإن كان لهذا الأخير مقدّماته أيضاً ، إلّا أنّها غالباً ما تكون خافية على الإنسان المؤمن ، وهنا تكمن الخطورة .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(والله لتكسّرنّ تكسّر الزجاج ، وإنّ الزجاج ليعاد فيعود كما كان ، والله لتكسّرنّ تكسّر الفخار ، فإنّ الفخار ليتكسر فلا يعود كما كان ، (و) والله لتغربلنّ ، (و) والله لتميّزنّ ،

(و) والله لتمحّصنّ حتى لا يبقى منكم إلّا الأقل ، وصعّر كفّه .)[1]

يقول الشيخ النعماني رحمه الله في كتاب الغيبة بعد الحديث الشريف :

(فضرب ذلك مثلاً لمن يكون على مذهب الإمامية فيعدل عنه إلى غيره بالفتنة التي تعرض له ، ثم تلحقه السعادة بنظرة من الله فتبيّن له ظلمة ما دخل فيه وصفاء ما خرج منه ، فيبادر قبل موته بالتوبة والرجوع إلى الحق ، فيتوب الله عليه ويعيده إلى حاله في الهدى كالزجاج الذي يعاد بعد تكسّره فيعود كما كان ، ولمن يكون على هذا الأمر فيخرج عنه ويتم على الشقاء بأن يدركه الموت وهو على ما هو عليه غير تائب ولا عائد إلى الحق ، فيكون مثله كمثل الفخار الذي يكسر فلا يعاد إلى حاله ، لأنه لا توبة له بعد الموت ولا في ساعته ، نسأل الله الثبات .)[2]

ولعلّه يبقى على ذلك الحال من غير توبة إلى ظهور الإمام عليه السلام إذا كان معاصراً لتلك الفترة ، فلا ينفعه حين ذاك الندم أو التوبة ، وكما ورد في الأخبار الشريفة من أنّ من مصاديق اليوم في الآية الكريمة من سورة الأنعام هو يوم الظهور .

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٠٧ .

٢. المصدر : ص٢٠٨ .

قال تعالى :

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[١]

وقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن هذه الآية ، فكان من جملة ما روي عنه أنه قال في جوابه :

(والآية المنتظرة هو القائم المهدي عليه السلام ، فإذا قام لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدّم من آبائه عليهم السلام .)[٢]

وروي عنه أيضاً عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى في الآية الكريمة من سورة السجدة :

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[٣] : **(يوم الفتح ، يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً ، وبهذا الفتح موقناً .)**[٤]

---

١. الأنعام ، ١٥٨ .

٢. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٠ .

٣. السجدة ، ٢٩, ٣٠ .

٤. تأويل الآيات : ج٢ ، ص٤٤٥ .

وقد ورد في زيارة الإمام المهدي ﷺ المعروفة بزيارة آل ياسين :

(وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ ، أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ، وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً .)[1]

هذا بالإضافة إلى أنّ تشبيه الارتداد والخروج من الدين ، بتكسّر الزجاج والفخار يحمل وجهاً آخر لا يقل أهمية عمّا ذكره الشيخ رحمه الله ، وهو السرعة في التكسّر ، لأنّ الزجاج لا يحتاج إلى أكثر من لحظة واحدة لكي يتكسّر ، وكذلك الفخار .

وهذا يعني أنّ الأمّة سوف تواجه ظرفاً حسّاساً وخاصاً وحرجاً ، يحتاج المؤمن أن يتّخذ فيه الموقف السريع والقاطع والحازم ، ومن دون أي تعلل أو تأخير ، على مثال ذلك الظرف الذي مرّت به الأمّة في العراق في عصر الإمام الحسين ﷺ ، حيث كان لاتخاذ القرار فيه أكبر الأثر في رفع الإنسان أو حطّه وتكسّره ، وفي نفس اللحظة التي اتخذ فيها ذلك القرار .

وهذا ما حصل بالفعل لأهل الكوفة في تلك الفترة ، فالذي اتّخذ قراراً بترك مسلم بن عقيل ﷺ وخذلانه من غير عودة ، فقد تكسَّرَ

---

١. بحار الأنوار : ج٩١ ، ص٣ .

تكسُّر الفخار وخرج عن الولاية ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الذي ترك نصرة الحسين عليه السلام أو خرج لقتاله .

فالذي ينبغي الالتفات إليه جيّداً هنا ، هو أنّ الامتحان والتمحيص الذي جاء في الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، والذي سيؤدي إلى مثل هذه النتائج الخطيرة المذكورة ، أي السرعة في الارتداد والخروج من الولاية ، والكثرة في المرتدّين ، هو مختص بفترة غيبة الإمام أرواحنا فداه وقبل ظهوره المبارك .

وهذا يعني ضرورة وجود من يقوم مقام الإمام عليه السلام قبل ظهوره ، بحيث تكون مخالفته مخالفة للإمام ، وطاعته كذلك طاعة للإمام ، وأن يكون هدفه وهمّه نفس هدف الإمام عليه السلام وهمّه ، في القيام على الظالمين ، وإقامة حكم الله في الأرض ، لكي يكون الامتحان بنصرته وإطاعته ، ومن ثم الحفاظ على حكومته ، منسجماً مع هدف الإمام عليه السلام ، ومع ما يحتاجه في مهمته .

إنّ هدف مسلم بن عقيل لم يكن مختلفاً عن هدف الإمام الحسين عليه السلام ، بل كان هدفهما واحداً ، لذا صارت طاعتهما ونصرتهما وولايتهما واحدة ، وكذلك الآثار المترتبة عليها أيضاً ، والعكس صحيح .

فلابدّ إذن من معرفة الذي يمثّل الإمام عليه السلام والمبادرة إلى طاعته ونصرته ، فالفترة التي تسبق الظهور يتوقع أن تكون فترة خاصّة وحساسة جداً ، يقف فيها أعداء الإسلام بكل قواهم للنيْل من الدين الحق .

حينها تنسجم المواقف بالنسبة إلى الناصر والخاذل من الناس مع تلك النتائج الخطيرة التي وردت في الروايات الشريفة ، من حيث التأهّل لبلوغ الفرج ، أو الارتداد والخروج من الولاية .

فترة الامتحان

لقد مرّ في الأبواب السابقة التي مرّت في موضوع الامتحان والتمحيص ، أنّ هذا الامتحان يختص بهذه الفترة ، أي فترة الغيبة الكبرى ، فهل لهذا الامتحان وقت معيّن يختص به ، أم أنه قائم على طول هذه الفترة ؟

إنّ الظاهر من الأخبار الواردة في موضوع التمحيص والامتحان ، وكذلك التي وردت في موضوع الانتظار ، أنّ هذا الامتحان جارٍ ومستمر حتى ظهوره عليه السلام ، إلّا أنّه يتفاوت وتتفاوت نتائجه من حيث الشدّة والضعف تبعاً لتفاوت الظروف ومقتضياتها في المقاطع الزمانية المختلفة .

فالطالب على سبيل المثال يتعرّض خلال مسيرته الدراسية ، أو خلال عامه الدراسي الواحد لامتحانات متعددة ومتتالية ، إلّا أنّها ليست على مستوى واحد من حيث الأهمية ، خصوصاً بالنسبة إلى النتائج المترتبة عليها ، فإنها تختلف تبعاً لأهمية تلك الامتحانات فيما إذا كانت يومية أو شهرية أو نهائية .

والمعروف في هذا المجال أنّ الامتحان النهائي يمتاز عن بقية الامتحانات الأخرى المتوسطة من حيث الأهمية ، وذلك بسبب الآثار التي تترتب عليه .

فلو عدنا إلى امتحان أصحاب نوح عليه السلام ، نجد أنّ الامتحان الذي جاء في القصة كان في الفترة التي سبقت زمن الاستخلاف ، أي في الفترة القريبة منه ، وهذا لا يعني أنّهم لم يكونوا في معرض ذلك الامتحان قبل تلك الفترة .

لقد كانوا مكلّفين منذ البداية بالإيمان بنبيّهم عليه السلام وبتصديقه وطاعته ، وهو أهم ما ألقي على عاتقهم من تكاليف آنذاك ، فلم يكن مختصّاً بالفترة التي سبقت زمن الاستخلاف ، إلّا أنّه اختلف عن سابقيه من حيث الشدّة والتفاصيل لا أكثر ، وتبعاً لتغيّر الظرف الذي كان يتطلّب التمييز والتمحيص .

إنّ هذه المسألة لا تختص بزمان دون آخر ، أو بمكان دون غيره ، فعصر الأنبياء والأئمة عليهم السلام لم يكن ليخلو من هذا التكليف أيضاً ، وهو أهم ما كان يتوجّه إلى الأمّة من تكاليف في تلك الأزمنة ، والمتمثل بولايتهم عليهم السلام والبراءة من أعدائهم ، وما يترتب عليها من واجبات وحقوق ، إلّا أنّ تغيّر الظروف كان يعطي نفس هذا التكليف خصوصية أخرى يمكن تشخيصها من خلال ما يترتب عليه من آثار بالنسبة إلى العامل به أو التارك له .

إنّ تقصير الأمم تجاه أنبيائهم وأئمتهم عليهم السلام كان واضحاً طوال فترة حياتهم المباركة ، إلّا أنّ آثار هذا التقصير على الأمّة كانت تختلف بحسب متطلبات الظرف ، وخصوصاً في الظروف الحرجة والحساسة ، كأوقات الجهاد والدفاع ، أو الابتلاء والفتنة .

وكذلك الحال بالنسبة إلى هذه الفترة ، فالأمّة مكلّفة بنفس ذلك التكليف تجاه من يمثل الحجة عليه السلام فيها ويقوم مقامه ، أي التكاليف التي تنطوي تحت عنوانَي التولي والتبري .

وأنّ امتحان هذه الأمّة الذي شبّهه الإمام الصادق عليه السلام بامتحان أصحاب نوح عليه السلام سيكون كذلك ، أي في الفترة التي تسبق زمن الاستخلاف ، أي قبل ظهور الإمام عليه السلام ، وأنه لا يختلف عن امتحانات عصر الغيبة التي تسبقه إلّا من حيث الشدة التي يقتضيها ذلك الظرف من التمحيص والتمييز والغربلة ، وكما ورد في الرواية الشريفة التي جاء فيها :

(ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام .)[1]

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٥ .

أمّا بالنسبة إلى الآثار التي تترتب على هذا الامتحان فهي على نحوين ، يتعلق الأول منهما بالجانب الإيجابي للمسألة ، والذي يتمثل بالعاملين بالتكليف المطلوب في فترة الغيبة الكبرى ، والتي تكون نتيجته متمثلة بفوزهم ونجاتهم وإدراكهم للفرج في حال تحقّق الظهور المبارك في زمانهم أو عدم تحققه ، وقد صرّحت بذلك الأحاديث الشريفة التي سيأتي بيانها في موضوع الانتظار ، وهذا من تمام عدله سبحانه وتعالى .

والسبب في ذلك يكمن في كون هذا العامل بالتكليف قد جاء بالعمل الذي لو كان قد اجتمع عليه العدد الكافي من الناس في زمانه لتحقق الفرج ، ولكان ممّن يستحق أن يكون في عداد أنصار الإمام عليه السلام عند ظهوره .

لذا لا يضرّ العامل بهذا التكليف تقدّمُ هذا الأمر أو تأخّره من حيث الأجر ، باعتباره قد أدرك الفرج بانتظاره ، وإن لم يظهر الإمام عليه السلام ، وبأدائه للتكليف المطلوب الذي لا يختلف عن تكليف زمن الحضور والظهور إلّا من حيث التفاصيل .

أمّا بالنسبة إلى ما يتعلّق بآثار الجانب السلبي للقضية ، والمختص بغير العاملين بالتكليف المطلوب ، فإنّها تختلف من حيث الشدّة والضعف باختلاف الظروف ، أي أنّ العقوبة سوف تختلف باختلافها ، فالذي مات مقصراً في حق الإمام الحسين عليه السلام من

حيث الطاعة والتبعية والنصرة قبل قيامه عليه السلام لا يتساوى مع المقصر معه في تلك الأمور في زمن القيام ، وهذا من محض لطف الله تعالى وفضله بعباده ، ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1] .

---

١. الشورى ، ٣٠ .

الامتحان في أهم التكاليف الشرعية

إنّ الذي يمكن استنتاجه من خلال ما تقدّم من البحث ، هو أنّ الامتحان المذكور لابدّ أن يكون في أهم التكاليف والواجبات الشرعية، وذلك لأنّ عاقبة الذين سوف يفشلون في الامتحان وكما جاء في الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، هو الارتداد عن الدين والخروج من الولاية ، وبالتالي عدم التوفيق لإدراك الفرج ، والعكس صحيح بالنسبة إلى عاقبة الناجين منه . فإن كان الأمر كذلك ، فلابدّ أن يكون الامتحان في أهم الواجبات الشرعية ، حتى يتناسب مع تلك النتائج الخطيرة .

إنّ ترك الإنسان لما هو مباح أو مكروه من الأفعال ، بل حتى ترك بعض الواجبات الفردية التي لا مساس لها بأساس الدين ، لا يؤدي إلى مثل تلك النتائج الكبيرة والعواقب الخطيرة .

إنّ الذي لم يدرك الفرج وحياة الاستخلاف من أصحاب نوح عليه السلام ، إنما كان بسبب تركه لأهم الواجبات الملقاة على عاتقه في ذلك الوقت ، والمتمثل بالإيمان بنبيّه والتصديق به والالتزام بطاعته ، وهو ما ثبت عليه الناجون من أصحابه ، فيكونوا بذلك قد قاموا

بأداء أهم التكاليف الملقاة على عاتقهم ، ليستحقّوا بذلك نعمة الاستخلاف والتمكين في الأرض .

وهكذا الحال بالنسبة إلى امتحان هذه الأمّة ، فالذي يستحق ذلك المقام السامي وتلك المرتبة الرفيعة ، وهي إدراك الفرج تحت راية الإمام المهدي عليه السلام ، لابدّ أن يكون قد جاء بأفضل الأعمال وأهم التكاليف ، وهذا ما سوف يتأكد في موضوع الانتظار الذي سيأتي في الأبواب اللاحقة إن شاء الله تعالى .

الامتحان في موضوع الادّعاء

لقد تبيّن من خلال ما تقدّم من البحث ، أنّ الذي يدّعي أمراً مهمّاً ، فإنّه سوف يخضع للامتحان والاختبار ، وذلك من أجل أن تتضح حقيقة ادّعائه ومقدار ما يحكيه من الصحة .

إلّا أنّ المسألة التي ينبغي الالتفات إليها هنا ، هي أنّ هذا الامتحان الذي يُمتحن به المدّعي لابدّ أن يكون في نفس موضوع ادّعائه لا في موضوع آخر ، وكما تبيّن في مثال المدرسة ، فالذي ادّعى معرفة فن لعبة كرة القدم ، هو الذي جرى عليه الاختبار وفي نفس موضوع ادّعائه لا غير ، أي فيما يتعلق بفنون كرة القدم .

وهكذا كان الحال بالنسبة إلى الذين كانوا يدّعون الإيمان بنوح عليه السلام ، ويدّعون التصديق به واتّباعه ، فإنهم امتحنوا في هذه المسألة بالذات ، لأنّ نبيّهم عليه السلام كان قد أبلغهم عن الله سبحانه وتعالى أمراً كان على الذي يدّعي الإيمان به أن يصدّقه ويطيعه فيه .

ولعل من أوضح مصاديق هذه المسألة ، هو ادّعاء أهل الكوفة نصرة الإمام الحسين عليه السلام وطاعته والقيام معه ، فاختُبروا بنفس

موضوع ادّعائهم مع نائب الحسين عليه السلام ، أي في موضوع الطاعة والنصرة والقيام والدفاع مع مسلم بن عقيل ، والذي بعثه الإمام عليه السلام إليهم لتمهيد الأرضية لقدومه إلى الكوفة .

ولكن سرعان ما تبيّنت حقيقة تلك الادّعاءات ، حيث خذلوه وأسلموه وتركوه وحيداً ، وبالتالي وبسبب فشلهم في هذا الاختبار لم يوفّقوا بعدها للالتحاق بركب الحسين عليه السلام ، بل خذلوه هو الآخر وشاركوا في قتاله وسبي عياله ، فلعنهم الله وأخزاهم .

ولو أننا رجعنا إلى ما نحن فيه في هذه الفترة ، وإلى ما ندّعيه تجاه إمام زماننا عليه السلام ، فإننا نجده يدور حول محورين أساسيين ، هما محورا التولي والتبري ، فنحن ندّعي اليوم ولايته وانتظاره وطاعته ، وكذلك نصرته والقيام معه ، وإعانته على إقامة حكم الله ، وندّعي كذلك البراءة من أعدائه ، وكما ادّعى أهل الكوفة في ذلك الوقت ، ومن دون أيّما فرق .

وهذا يعني أنّ امتحان هذه الأمّة سوف يكون في هذا الإطار أيضاً ، وقبل ظهوره عليه أفضل الصلاة والسلام ، مع من يمثّله وينوب عنه ، ومن يمثّل حاكميته وولايته .

علاقة الامتحان بالهدف

إنّ من الأمور الواضحة والمتعارفة في موضوع الامتحان ، هي وجود العلاقة بين الامتحان وبين الهدف ، فالذي يريد أن يكون طبيباً أو مهندساً على سبيل المثال ، أو غيرها من المهن والفنون الأخرى ، فإنّ الامتحانات التي لابدّ له من اجتيازها للوصول إلى هدفه تكون عادةً في العلوم والفنون ذات العلاقة بتلك المجالات ، فلا يُتصوّر اختباره في غير المجال الذي انتخبه وحدّده لنفسه .

لذا ومن أجل التعرّف على ماهية الامتحان لابدّ من تشخيص الهدف أولاً وقبل كل شيء .

فلنرجع إلى قصة نوح عليه السلام ، وذلك لما فيها وكما ورد في الرواية الشريفة من أوجه الشبه مع ما سوف يجري على هذه الأمّة في الفترة التي تسبق ظهور الإمام عليه السلام ، فقد كان الهدف من اختبار قوم نوح عليه السلام وامتحانهم ، هو تحقّق الوعد الإلهي الذي كان قد وعده الله سبحانه لعباده المؤمنين من إبدال خوفهم بالأمن في زمن الاستخلاف بعد التمكين لهم في الأرض .

فمن الواضح أنّ الأمن المنظور لا يمكن تحقّقه إلا بعد توفّر مستلزماته في الأمّة ، وكما جاء في الحديث الشريف فيما أوحى الله سبحانه إلى نوح عليه السلام :

(وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم .)[١]

فضعف اليقين هذا إنّما يظهر في مسألة مهمّة وأساسيّة ، هي مسألة الطاعة والانصياع للأوامر والنواهي الإلهية ، والمتمثلة بطاعة نبيّهم عليه السلام ، فلهذه المسألة الدور الأكبر ، بل مطلق الدور في تثبيت حياة الاستقرار والأمن بين الناس ، فعدم الأمن لا يأتي إلّا من خلال تخطّي الأوامر الإلهية ، فلذلك كان الامتحان في هذه المسألة المهمة بالذات ، وهي الطاعة لمن يمثّل السماء ، ثم الثبات عليها مهما اشتدّت الفتن والابتلاءات .

فلابدّ من الالتفات جيداً بعد الذي تقدّم من البحث إلى التكليف المطلوب في هذه الفترة ، والذي له الدور الأكبر في تهيئة الأرضية لظهور الإمام أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه ، وتحقّق ذلك الهدف الكبير ، ذلك التكليف الذي تمتحن به الأمّة ويجري من

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٦ .

خلاله غربلتها وتمحيصها ، والذي لابدّ أن يكون منسجماً مع الغاية والهدف المنشود من ظهوره عليه السلام .

مثال

يمكن تقريب المطالب المتقدمة إلى الذهن من خلال مثال يتوضح فيه ما يريده الإمام عليه السلام لتحقيق هدفه .

فلو أنّ شخصاً أراد أن يتقدّم لخطبة فتاة لتشاركه حياته ، فإنّه ينتخب للذهاب إلى خطبتها من كبار أقربائه وجيرانه من ذوي الشيبة والوقار والسمعة الطيّبة ، من الذين يكون لهم الأثر عادةً في إنفاذ هذا الأمر وتحقّقه .

أمّا إذا كان مراد ذلك الشخص الذهاب إلى مناظرة علمية ، فإنّه سوف ينتخب هذه المرة من الأشخاص من له الخبرة الكافية والاطّلاع الكافي في هذا المجال ، أي إنّه سوف يبحث عن مواصفات أخرى غير تلك التي انتخبها في المرّة الأولى بحيث تنسجم مع هدفه الذي يذهب من أجله .

فلو افترضنا أنّ ملاك هذا الشخص في انتخاب الأفراد ، هو الإيمان والتقوى ، فإنّ هذا الملاك لا يكفي لوحده للإيفاء بالغرض ، بل لابدّ من توافر شروط أخرى في هؤلاء الأشخاص تتناسب مع المهمّة التي يحتاجهم فيها .

فانظر إلى انتخاب هذا الشخص إذا كان هدفه قتال الأعداء ، أو القيام لإقامة حكم الله في الأرض ، ونحن نعلم بأنّ من المهام ما تحتاج من أجل تحققها إلى أصحاب اليقين الراسخ والإيمان القوي والطاعة المطلقة والمجاهدة الكبيرة ، وتحتاج كذلك إلى نوع عالٍ من الثبات والتحمل والاستقامة .

وهذا في الواقع ما يحتاجه الإمام الحجة عليه السلام من المواصفات التي لابدّ أن يتصف بها أنصاره ، لكي يتسنى له بمعيّتهم من إقامة حكم الله في الأرض بعد القيام على الظالمين ، ومن ثم الحفاظ على تلك الحكومة الإلهية من كل ما يحيط بها من مخاطر .

وهنا يأتي دور التمهيد ، ودور الذين يمهدّون لظهوره عليه السلام ، وما ينبغي عليهم فعله من تهيئة الأرضية لقيامه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإزالة العقبات التي تقف أمام ذلك .

قلّة الأنصار

قد يقع الإنسان المؤمن في الشك عندما يسمع بالمقولة الحاكية عن قلّة أنصار الإمام المهدي عليه السلام ، أو قد يصعب عليه التصديق بها ، وخصوصاً وهو يرى الكثير ممّن يدّعي الإيمان بهذا الأمر ، وبالأخص عندما ينظر الإنسان إلى نفسه ، فإنّه لا يستطيع أن يتصوّرها تقف موقف الخاذل أو المحارب للحق ، أو تقف أمام إمامه ومقتداه الذي يؤمن به وبولايته وإمامته .

إلّا أنّ الأمر من الخطورة بمكان بحيث يجدر بالإنسان العاقل أن يحذر منه أشدّ الحذر ، خصوصاً بعد الاطلاع على مسألة الادّعاء والأحاديث والأمثلة التي وردت فيه ، ومن كونه غير كافٍ ما لم يتوّج بالثبات والاستقامة ، وكذلك المسائل الأخرى التي مرّ بيانها في موضوع الابتلاء والامتحان .

ويمكن تصديق هذا الأمر أيضاً ، أعني قلّة الأنصار ، من خلال الرجوع إلى تاريخ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، للوقوف على هذه القلّة في أنصارهم وأنصار الحق على مرّ العصور .

فذاك إبراهيم الخليل عليه السلام كان وحيداً أمام طاغوت عصره ولم يؤمن به إلّا القليل من قومه ، ولم يؤمن بلوط عليه السلام إلّا القليل من أهل بيته ، وقد علمت المتبقين من أصحاب نوح عليه السلام بعد تسعمائة وخمسين سنة من الدعوة ، وكان جلّهم من أهل بيته ، وقد ترك أصحاب موسى عليه السلام نبيهم في مواطن متعددة ، حتى قال عليه السلام مخاطباً ربه :

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾[١]

وكذلك الحال بالنسبة إلى عيسى بن مريم عليه السلام حيث لم يكن معه إلا ذلك العدد القليل من الحواريين . وإنّ خير دليل على قلّة الأنصار هذا ، هو تسلّط الظالمين على طول التاريخ ، تُستثنى منها فترات قصيرة استطاع فيها الحق أن يأخذ محلّه من الحكم .

ولو بحثت عن أسباب ذلك لوجدت أنها جاءت نتيجة التفاف الأمّة حول من يمثل السماء في تلك الفترات ، أي بسبب توافر العدد الكافي من الأنصار فيها لإقامته ، إلّا أنّها لم تكن خالية من المعاناة أيضاً ، والسبب في ذلك يعود إلى الأنصار أنفسهم ، وكما حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزواته ، كأُحُد وحنين وبعث أسامة ، وأمثال ذلك .

---

١. المائدة ، ٢٥ .

وكذلك الحال في عهد أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث كان يعاني في فترة حكومته القصيرة من تقاعس الأمّة وعدم ثباتها ، ومن قلّة طاعتها له حتى قال عليه السلام في بعض ما روي عنه :

(مُنيتُ بمن لا يُطيع إذا أمَرت ، ولا يُجيب إذا دَعَوت .)[١]

وكذلك بالنسبة إلى عهد الإمام الحسن عليه السلام ، حيث تركته الأمّة وحيداً حتى اضطرّ إلى الصلح مع عدوه ، وإنّ ما حدث للإمام الحسين عليه السلام من حيث قلّة الأنصار فلا يحتاج إلى بيان .

وهكذا الحال بالنسبة إلى باقي الأئمة عليهم السلام حيث تركتهم الأمّة ، ولم يكن لهم من يعينهم من الأنصار للقيام بالأمر الذي جعله الله لهم دون غيرهم ، فكان ما كان من تسلّط أعدائهم الظالمين ، ومن استشهادهم عليهم السلام الواحد تلو الآخر ، وقد صرّح الأئمة عليهم السلام بهذه القلّة في الأعوان والأنصار في مواطن متعددة .

فقلّة الأنصار إذن ليست بالمسألة الجديدة أو الغريبة حتى تُستبعد من قِبل البعض فيما يخصّ عهد الإمام المهدي عليه السلام ، لكنّ الفارق هنا يكمن في حاجة الإمام عليه السلام إلى العدد الكافي واللازم لا ليقوم فحسب وبغض النظر عن النتائج ، بل لابدّ لذلك العدد أن يكون

---

١. نهج البلاغة : ج١ ، ص٩٠ .

كافياً من حيث الكم والكيف لإدامة النهضة وإقامة حكومة العدل الإلهية أيضاً .

يقول السيد حيدر الآملي قدس سره في كتاب "المقدمات من كتاب نصّ النصوص" بالنسبة إلى سبب غيبة الإمام أرواحنا فداه :

(فليس من الله ولا منه (عليه السلام) بل من عدم الناصر وقلة المعين ، فإذا حصل الناصر وظهر المعين وجب عليه الظهور والقيام بالأمر المأمور به . وجميع الأنبياء والأولياء كانوا كذلك ، أعني كانوا محتاجين إلى الناصر والمعين.)[1]

وقد مرّت أقوال العلماء رضوان الله تعالى عليهم بهذا الخصوص في الأبواب السابقة ، فراجع[2] .

وإليك بعض الأحاديث التي تؤكد المطلب وتشير إلى تلك القلّة في أنصار الإمام أرواحنا فداه :

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

(والذي بعثني بالحق بشيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر .)[3]

---

١. المقدمات من كتاب نص النصوص : ص٢٥٣ .

٢. راجع ص٤٢ , ٤٣ .

٣. كمال الدين وتمام النعمة : ص٢٨٨ .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

(أما أنّكم لن تروا ما تحبون وما تأملون يا معشر الشيعة حتى ... وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين والملح في الزاد ، وهو أقل الزاد .)[١]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(والله لا يكون ما تأملون حتى يهلك المبطلون ، ويضمحل الجاهلون ، ويأمن المتقون ، وقليل ما يكون .)[٢]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو .)[٣]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميّزوا وتمحّصوا ، وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل .)[٤]

---

١. بحار الأنوار : ج٢ ، ص٧٩ .

٢. دلائل الإمامة : ص٤٧١ .

٣. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١١٣ .

٤. المصدر : ص١١٤ .

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

(ويل لطغاة العرب من شرٍ قد اقترب) ، قلت : جُعلت فداك كم مع القائم من العرب ؟ قال : (شيء يسير) ، فقلت : والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير ، فقال (عليه السلام) : (لابدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ، ويخرج في الغربال خلق كثير .)[1]

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال :

قال الراوي : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2] ، ثم قال لي : (ما الفتنة ؟) ، فقلت : جعلت فداك الذي عندنا أنّ الفتنة في الدين ، ثم قال (عليه السلام) : (يفتنون كما يفتن الذهب ، يخلصون كما يخلص الذهب .)[3]

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال :

(لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتى تميّزوا وتمحّصوا ، فلا يبقى منكم إلا القليل .)[4]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١١٤ .

٢. العنكبوت ، ١ , ٢ .

٣. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١١٥ .

٤. الإرشاد : ج٢ ، ص٣٧٥ .

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إليه حتى تمحّصوا وتميّزوا ، وحتى لا يبقى منكم إلّا الأندر فالأندر .)[١]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١١٤ .

أوصاف القلّة الناجية

يمكن التصديق أيضاً بمسألة قلّة الأنصار هذه ، وشدّة الابتلاء أيضاً من خلال الأوصاف التي وُصفت بها تلك القلّة القليلة الناجية من الفتن والابتلاءات .

فقد وصفهم أهل البيت عليهم السلام بأوصاف يندر تواجدها في أغلب فئات المجتمع الإنساني ، ويكفي في ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في حقهم في المثال الذي ضربه ، من أنهم : (لا تضرهم الفتنة شيئاً) ، أي لا يُخاف عليهم من الفتنة والامتحان أصلاً .

وإليك بعض ما وصفهم به أهل البيت عليهم السلام من خلال ذكر المقاطع التي تفي بالغرض من الأحاديث الشريفة :

فروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

(ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان .)[1]

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٢٥٣ .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

(ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا ، وكتب في قلوبهم الإيمان ، وأيّدهم بروح منه .)[1]

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال :

(وأمّا (الغيبة) الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به ، فلا يثبت عليه إلّا من قوي يقينه، وصحّت معرفته ، ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضينا ، وسلّم لنا أهل البيت .)[2]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(لتأتينّ فتن كقطع الليل المظلم ، لا ينجو (منها) إلّا من أخذ الله ميثاقه ، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ، ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة .)[3]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(والله لتمحّصنّ ، والله لتطيّرنّ يميناً وشمالاً حتى لا يبقى

---

١. بحار الأنوار : ج٥١ ، ص١١٠ .

٢. المصدر : ص١٣٤ .

٣. المصدر : ص١٣٥ .

منكم إلّا كل امرئ أخذ الله ميثاقه ، وكتب الإيمان في قلبه ، وأيّده بروح منه .)[1]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(ألا إنّ شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته ، هناك يثبّت الله على هداه المخلصين .)[2]

وعنه عليه السلام كذلك قوله :

(أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم ... ، إلى أن قال عليه السلام : ولتُكفأنّ كما تُكفأ السفن في أمواج البحر ، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه ، وكتب في قلبه الإيمان ، وأيّده بروح منه .)[3]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .)[4]

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٦ .

٢. بحار الأنوار : ج٣٦ ، ص٤٠٩ .

٣. المصدر : ج٥٢ ، ص٢٨١ .

٤. المصدر : ص١٥٠ .

وعنه عليه السلام كذلك أنه قال :

(لـو قـام القـائم لأنكـره النـاس... ، إلى أن قـال عليه السلام : لا يثبت عليه إلّا من قد أخذ الله ميثاقه في الذر الأول .)[١]

وسأل أحدهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام قائلاً : يا بن رسول الله وإنّ غيبته لتطول ؟ قال عليه السلام :

(إي وربّي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، ولا يبقـى إلّا مـن أخـذ الله عهـده لولايتنـا ، وكتـب فـي قلبـه الإيمان ، وأيّده بروح منه .)[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(أما إنّ لولدي غيبة يرتـاب فيهـا النـاس إلا من عصـمه الله عزّ وجلّ .)[٣]

هذه هي أوصافهم ، فكم تجد لها من مصاديق عبر التاريخ ؟ وكم تجد لها من مصاديق في حاضرنا المعاصر ؟

نعم ، يمكن إعطاء هذه الأوسمة لأولئك الذين خلّدهم التاريخ من الذين نصروا الحق وثبتوا عليه ، بعد معرفة الحجة في زمانهم ، الذين

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص١٨٨ .

٢. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٨٥ .

٣. المصدر : ص٤٠٩ .

لـم يمنعهم لـوم اللائمـين ولا طعـن الطـاعنين مـن الاسـتمرار والإصـرار على إحقـاق الحـق بعـد أن عرفـوه واطمأنـت لـه أنفسـهـم ، حتـى بـذلوا مهجهـم دونه ، فطوبى لهـم وحسن مآب .

وكـذلك يصـدق في عصـرنا الحاضـر علـى المجاهـدين الصـابرين المخلصـين الـذين يـدافعون عـن الإسـلام ، ويقفـون مـع الحـق ويحـاربون الباطل ، من الذين ثبتوا أمـام الاستكبار بكـل أشكاله ، وأطاعوا من تجب عليهم طاعته من النواب العامّين للإمام صاحب العصر والزمان عليه أفضل الصلاة والسلام .

انتظار الفرج

فضيلة الانتظار

يُعد انتظار الفرج من أهم التكاليف الملقاة على عاتق الأمّة في هذه الفترة ـ فترة الغيبة الكبرى ـ وهذا ما صرّحت به الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام .

فقد روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال :

(أفضل أعمال أمّتي انتظار فرج الله عزّ وجلّ .)[1]

وروي عنه صلى الله عليه وآله أيضاً أنه قال :

(أفضل العبادة انتظار الفرج .)[2]

وعنه صلى الله عليه وآله كذلك قوله :

(أفضل جهاد أمّتي انتظار الفرج .)[3]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٢٢ .

٢. المصدر : ص١٢٥ .

٣. المصدر : ج٧٤ ، ص١٤١ .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله .)[١]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روْح الله ، فإنّ أحبَ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج .)[٢]

وعندما سُئل عن أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ، قال عليه السلام :

(انتظار الفرج .)[٣]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

(والله لأعطينّك ديني ودين آبائي الذين ندين الله عزّ وجلّ به : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله ، والولاية لولينا ، والبراءة من عدونا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والاجتهاد والورع .)[٤]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٣١ .

٢. المصدر : ص١٢٣ .

٣. الأمالي للشيخ الطوسي : ص٤٣٦ .

٤. بحار الأنوار : ج٦٦ ص١٤ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(من دين الأئمة الورع والعفّة والصلاح ... إلى أن قال : وانتظار الفرج بالصبر .)[1]

وروي عن المفضّل أنه قال : ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره ، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام :

(إذا قام القائم أتي المؤمن في قبره ، فيقال له : يا هذا ، إنه قد ظهر صاحبك ، فإن تشأ أن تلحق به فالحقْ ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقِم .)[2]

وروي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال :

(أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج .)[3]

فتبيّن من خلال هذه الأحاديث الشريفة أفضلية هذا العمل ومحبوبيته عند الله سبحانه وتعالى ، وهناك الكثير من الأحاديث الأخرى التي يتبيّن من خلالها أيضاً منزلة العاملين بهذا التكليف ، وما سيحصلون عليه من الثواب العظيم والأجر الكبير ، وإن لم يدركوا

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٢٢ .
٢. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٤٥٩ .
٣. بحار الأنوار : ج٥١ ، ص١٥٦ .

ظهور الإمام عليه السلام ، وهذا ما يدعو إلى التأمّل في حقيقة هذا التكليف المهم ومعرفة ماهيته ، والذي سيأتي بيانه في الأبواب اللاحقة إن شاء الله تعالى .

مفهوم الانتظار

إنّ للانتظار مفهوماً عرفياً ومتداولاً بين عامّة الناس ، ومفهوماً حقيقياً جاء على لسان أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم الشريفة ، وذكره العلماء في كتبهم ، وهو يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذلك المفهوم المتعارف عند العامّة .

فالمفهوم العرفي للانتظار لا يتعدى عن حالة من الترقب السلبي لظهور الإمام عليه السلام ، من غير أن يكون للإنسان فيه دور يُذكر ، وهو على عكس ما أراده الله سبحانه وتعالى تماماً من الانتظار ، حيث عدّه عملاً وجهاداً وعبادة ، بل جعله أفضلها وأحبّها إليه كما تبيّن .

وقد ذهب البعض من الناس إلى القول بأنّ الانتظار هو العمل بالتكاليف الشرعية اليومية ، وكذلك التحلّي بالورع والتقوى والأخلاق الحسنة ، وهذا يعني أنّ الانتظار ليس له خصوصية يمتاز بها عن باقي التكاليف الشرعية الأخرى .

إلّا أننا لو رجعنا إلى المعنى المتعارف والمفهوم المتداول بين عامّة الناس لمسألة الانتظار ، والذي يستخدمون فيه هذه الكلمة في

ارتباطاتهم الاجتماعية ، لوجدنا فيه نوع من الاستعداد والتهيئة والترقّب ، وبالشكل الذي ينسجم مع منزلة الشخص المنتظَر ، وهذا يعني أنّ للانتظار خصوصية يتميّز بها عن باقي الأعمال الاعتيادية الأخرى ، وإنّ الظاهر من كلمات أهل البيت عليهم السلام يؤكد هذا المعنى المتعارف أيضاً في مفهوم الانتظار ، حيث ميّزته عن بقية الأعمال والعبادات بالأفضلية والمحبوبية .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به؟ فقلت : بلى ، فقال عليه السلام : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما أمر الله ، والولاية لنا ، والبراءة من أعدائنا ، يعني الأئمة خاصّة ، والتسليم لهم ، والورع والاجتهاد ، والطمأنينة والانتظار للقائم... ، إلى أن قال عليه السلام : من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر ، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة.)[1]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٤٠ .

فالظاهر من هذا الحديث الشريف أنّ الإمام عليه السلام قد ميّز العمل بالانتظار عن باقي الأعمال والاعتقادات الأخرى المذكورة في الحديث الشريف ، حيث عدّه من جملة الأمور التي لا يقبل الله سبحانه وتعالى من العباد عملاً إلّا بها ، وكذلك ميّز بينه وبين العمل بالورع ومحاسن الأخلاق ، حيث قال عليه السلام : (... فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر) .

ويمكن أيضاً لهذه الأعمال ، ولهذه الاعتقادات ، وكذلك التحلّي بمحاسن الأخلاق أن تُعدّ أيضاً من الانتظار المطلوب فيما إذا جاء بها الإنسان بنيّة الإعداد والاستعداد والتمهيد لهذا الأمر المهم ، وكذلك إذا جاء بها بنيّة التقرّب إلى إمام زمانه عليه السلام وتحصيل محبته ومودته .

فقد ورد عن الإمام المهدي عليه السلام أنه قال في رسالته إلى الشيخ المفيد قدس سره :

(فليعمل كل امرءٍ منكم بما يقرّب به من محبتنا ، ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا .)[1]

أمّا بالنسبة إلى الانتظار السلبي الذي لا يعطي تكليفاً للأمّة ، ولا يجعل لها دوراً مؤثّراً في عملية ظهور الإمام عليه السلام وإنجاز الوعد الإلهي ، فهو انتظار مُشل لا يؤدي إلّا إلى زيادة عمر الغيبة وتأخير الفرج .

---

١. المزار : ص٩ .

يقول الشهيد المطهري قدس سره في كتاب " قيام وانقلاب مهدي" :

(هنالك نوعان من الانتظار: فانتظار بنّاء ومحرّك وملتزم ، وهو من العبادة ، بل أفضل العبادة ، وانتظار هدّام ورجعي مُشِل ، ويُعدّ نوعاً من الإباحية .)[١]

ولعلّ المقصود من الإباحية هنا ، هو ذلك النوع من التفكّر الذي يدعو إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترك الإصلاح ، بل يدعو إلى ترك الفساد ينتشر في المجتمع ، على أساس أنّ انتشاره يؤدي إلى التعجيل في ظهور الإمام عليه السلام ، بل حتى ذهب بعض الجهّال إلى القول بنشر الفساد ، اعتماداً على فهمهم الخاطئ لمفهوم امتلاء الأرض ظلماً وجوراً .

---

١. قيام وانقلاب مهدي : ص٦١ ، الكتاب باللغة الفارسية .

مثال

لو افترضنا أنّ عدواً شرساً كان قد هدّد بالهجوم على بلدٍ ما ، وكان أهل ذلك البلد في انتظار قدوم شخص يتولى مهمّة قيادتهم لدفع ذلك العدو ، فما الذي ينبغي على أهل تلك البلدة أن يفعلوه في فترة انتظاره وقبل قدومه ؟

من الواضح أنّ أهل تلك البلاد إن كانوا حريصين على مقدّساتهم ومقدّراتهم ، فإنهم سوف لن يقعدوا في مثل هذا الظرف الحرج مكتوفي الأيدي في انتظار ذلك القائد القادم ، ومن دون أن يحرّكوا ساكناً ، بل الذي يُتصور ويُنتظر منهم أن يقوموا بتهيئة مستلزمات هذه المهمّة التي سوف يتولاها ذلك القائد بعد قدومه ، من قبيل الاستنفار العام، وفتح باب التطوّع ، والتدريب على السلاح ، وبناء الحصون ، وحفر الخنادق ، ووضع السواتر ، بل كل عمل يمكن له أن يساهم في إنجاز هذه المهمّة .

فلو رجعنا إلى التاريخ لننظر إلى الذي كان ينبغي على أهل الكوفة أن يقوموا به في انتظار الإمام الحسين عليه السلام ، لوجدنا أنّ الذي كان عليهم فعله ، هو ما قام به مسلم بن عقيل عليه السلام من تدابير ، ومنذ

دخوله الكوفة ، كأخذ البيعة واستقطاب الأنصار ، وتهيئة الأرضية لقدوم الإمام الحسين عليه السلام وإمساكه بزمام الأمور ، وكان على أهل الكوفة أن يطاوعوه ويعينوه على إنجاز هذه المهمّة .

فلم يكن تكليف الأمّة تجاه مسلم بن عقيل ليختلف عن تكليفها تجاه الإمام الحسين عليه السلام من حيث الأهمية ، أو من حيث النتائج المترتبة عليه ، فلم يكن مختلفاً عنه إلّا من حيث التفاصيل والجزئيات لا غير .

يقول الشيخ جوادي الآملي[1] حفظه الله في كتاب "العرفان والحماسة" وبعد ذكره للحديث الشريف الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام الذي جاء فيه : (ليعدّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً)[2] :

(يُعلم منه أنّ الإنسان المؤمن الملتزم ، والمسلّح العارف بفن الرماية ، هو المنتظِر لإمام زمانه (عليه السلام) ، فالشخص الذي لا علاقة له بفن الرماية والحرب أصلاً قد قطع ارتباطه بالإمام ، وتعلّق قلبه بغيبته لا بقيامه ، ذلك لأنّ أول عمل يقوم به الإمام عند ظهوره هو الحرب .)[3]

---

١. أحد مراجع التقليد ، وأبرز أساتذة تفسير القرآن الكريم ، وأساتذة الحكمة والفلسفة في قم المقدسة .

٢. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣٦٦ .

٣. عرفان وحماسة : ص٧٥ ، الكتاب باللغة الفارسية .

ويقول الشيخ الصافي الكلبايكاني[1] حفظه الله في كتاب "منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام" :

(ولـيُعلم أنّ معنـى الانتظـار لـيس تخليـة سـبيل الكفـار والأشرار وتسليم الأمور إليهم والمداهنة معهم وترك الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر والإقـدامات الإصـلاحية ، فإنه كيف يجوز إيكال الأمور إلى الأشرار مع التمكن من دفعهم عن ذلك .)[2]

ويقول الشيخ المظفر قدس سره :

(مما يجدر أن نعرفه في هذا الصدد ، ونذّكر أنفسنا به ، أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي) أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم ، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، ولا يجوز له التأخير عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشر الهادي ، فإنّ هذا لا يسقط تكليفاً ، ولا يؤجّل عملاً ، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم .)[3]

---

١. أحد مراجع التقليد في قم المقدسة .

٢. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام : حاشية ص٤٩٩ , ٥٠٠ .

٣. عقائد الإمامية : ص٧٩ .

ويقـول السـيد محمـد صـادق الصـدر رحمه الله في كتـاب "تـاريخ الغيبـة الكبرى" :

(حسب الفرد أن يعرف أن عمله الصالح ، وتصعيد درجة إخلاصــه ، وتعميــق شــعوره بالمســؤولية تجــاه الإســلام والمسـلمين ، يشـارك فـي تأسيس شـرط الظهـور ، ويقـرّب اليوم الموعود .) [1]

---

١ . تاريخ الغيبة الكبرى : ص٢٨٨ .

مفهوم الفرج

إنّ للفرج وكما كان للانتظار مفهومان متغايران أيضاً ، أمّا الأول فهو المفهوم العرفي للفرج ، وهو المفهوم السائد بين أغلب الناس ، وهو لا يزيد عن تمنّي الخلاص من نير الظلم والاضطهاد ، والتخلص من سطوة الظالمين ، والحصول على الراحة والاستقرار والعيش الآمِن في ظل حاكمية الدين في عهد القائم عليه السلام .

إنّ هذه المعاني المذكورة في المفهوم العرفي مع كونها تُعدّ من أهم مصاديق الفرج ، إلّا أنّها لا تمثل المعنى الصحيح والكامل له ، والذي جاء في كلمات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام ، ثم إنّ هذه الأمور المذكورة لا تأتي ببساطة وسهولة وبمجرد ظهور الإمام عليه السلام ، بل لا تحصل إلا بعد الخلاص من الظالمين وقوى الشر في العالم ، وكذلك لا تأتي إلّا بعد استقرار الأوضاع ، واستتباب الأمور واستقامتها له أرواحنا فداه .

فقد روي أنّ أبا بصير سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الفرج ، فقال : جُعلت فداك متى الفرج ؟ قال عليه السلام :

(يا أبا بصير أنت ممن يريد الدنيا ؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه بانتظاره .)[١]

فيتبيّن من جواب الإمام عليه السلام أنّ المعنى الذي قصده أبو بصير لمفهوم الفرج كان مفهوماً خاطئاً ، فأراد أن يبيّن له من خلال هذا الجواب المعنى الصحيح له ، وهو أنّ الفرج حاصل للإنسان من خلال انتظاره لهذا الأمر بعد معرفته .

يقول السيد محمد تقي الأصفهاني رحمه الله في كتاب "مكيال المكارم" تعقيباً على هذه الرواية الشريفة :

(أقول : الظاهر أنّه لمّا كان المقصود من الفرج النصرة للإمام والجهاد بين يديه ، بيّن عليه السلام أنّ هذا المقصد حاصل للشيعة بانتظارهم للفرج ، ونبّه على أنّ الحقيق عليهم أن يكون غرضهم من الانتظار هذا المقصد الأسنى.)[٢]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال :

(ما تستعجلون بخروج القائم ؟ فوالله ما لباسه إلا الغليظ .

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص١٤٢ .

٢. مكيال المكارم : ج٢ ، ص١٣٠ .

وما طعامه إلا الشعير الجشب ، وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف .)[١]

فأراد الإمام عليه السلام من خلال هذا الحديث الشريف أن يبيّن للذين يستعجلون ظهور الإمام المهدي عليه السلام ، أنّ الأمر ليس كما يظنّون أو يتوقّعون ، فالذي يستعجلونه من خروجه عليه السلام لا يتحقق عند ظهوره مباشرةً ، إنما يتحقق بعد عناء وجهاد وتحمّل صعاب جمّة .

إنّ هذا الخطاب في الواقع متوجّه إلينا نحن الذين نعيش هذه الفترة ـ فترة الغيبة الكبرى ـ بشكل أخص ، ولكي لا نستعجل من خروجه عليه السلام أموراً ، ونتوقع أشياءً على عكس ما هو عليه الأمر في الواقع ، وعلى العكس مما كنّا نتأمله من الفرج ، فيكون ذلك سبباً للإحباط وخيبة الأمل ، وسبباً للتراجع والفشل .

وكما كان حال أهل الكوفة في ذلك الوقت ، حيث كانوا يتأمّلون من قدوم الإمام الحسين عليه السلام وبسبب ضعف حاكم الكوفة آنذاك تحقق أمانيهم بكل سهولة وبساطة ، وهو الخلاص من حكم بني أميّة وتعسّفهم وظلمهم ، لكنهم حينما وجدوا أنّ الأمر على عكس ما كانوا يتوقعون ، حيث التهديد بالقتل والتنكيل والسبي ومواجهة جيش الشام ، تراجعوا وانقلبوا وجرى الذي جرى .

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٤٦٠ .

فليس المقصود من الفرج ، هو الحصول على مشتهى النفس ، أو طلب العافية في ظل حاكمية الدين كما ظنّ البعض ، بل هو حاصلٌ من خلال العمل بالتكليف ، ولا فرق بين أن يكون ذلك قبل ظهور الإمام عليه السلام أو بعده .

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .)[١]

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال :

(أليس انتظار الفرج من الفرج ؟)[٢]

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٧ .

٢. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٢٨ .

حقيقة هذا التكليف

لقد تبيّن مما تقدّم من البحث ، أنّ للانتظار مفهوم مختلف عن المفهوم المتعارف عند عامّة الناس، وهو الظاهر من كلمات أهل البيت عليهم السلام ، حيث أعطي أهمية خاصّة وعُدّ من أفضل العمل وأحبّ العبادة ، بل أفضلها وأحبّها إلى الله سبحانه وتعالى .

إلّا أنّ المراد بيانه في هذا الباب ، يتمثل في كون هذا التكليف المختص بهذه الفترة لا يختلف عن التكليف في زمن ظهور الإمام عليه السلام إلّا من حيث التفاصيل والجزئيات فقط ، والتي تتغير بحسب تغيّر الظروف الزمانية والمكانية ، وبحسب ما تقتضيه المرحلة ، ويقتضيه الوضع الحاكم في الأمّة ، والذي مرّ الكلام فيه في موضوع الامتحان، فراجع[1] ، وعلى هذا الأساس صارت النتائج المترتبة على العاملين بهذا التكليف في كلا المرحلتين واحدة .

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(ما ضرّ من مات منتظراً لأمرنا ألّا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره .)[2]

---

١. راجع ص١١٠-١١٤ .

٢. الكافي : ج١ ، ص٣٧٢ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(من مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه ، لا بل كان بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف .)[١]

وعنه أيضاً عليه السلام أنه قال :

(يا أبا حمزة من آمن بنا وصدّق حديثنا ، وانتظر أمرنا ، كان كمن قُتل تحت راية القائم ، بل والله تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله .)[٢]

من الواضح أنّ الذي يموت في وسط فسطاط الإمام المهدي عليه السلام وعسكره ، أو يُقتل تحت رايته ، يعني أنه مات شهيداً دفاعاً عن الدين والولاية ، ومن أجل رفع راية الإسلام وتثبيت حاكميته ، وفي طاعة إمام زمانه ونصرته .

فكيف يتساوى في الأجر والمنزلة مع من يموت منتظراً قبل ظهور الإمام عليه السلام ما لم يكن همّ هذا الأخير وخطّه ومنهاجه هو نفس همّ الأول وخطّه ومنهاجه ، وما لم يكن موته في نفس السبيل طاعةً لولي أمره ونصرةً له ؟

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٤٦ .

٢. المصدر : ج٦٥ ، ص١٤٢ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال :

(فإن مات (المنتظِر) وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه .)[1]

وعنه عليه السلام أيضاً :

(من عرف هذا الأمر ثم مات قبل أن يقوم القائم عليه السلام كان له مثل أجر من قُتل معه .)[2]

لذا كان من جملة الشهداء الذين ناداهم الإمام الحسين عليه السلام في عصر عاشوراء مع أصحابه ، وبعد أن بقي وحيداً في الميدان ، هو هاني بن عروة ، مع إنّه لم يُقتل معه في الحرب ، بل لم يُقتل في ميدان القتال أصلاً ، إنّما قتله عبيد الله بن زياد اللعين غيلة وغدراً بسبب إيوائه لمسلم بن عقيل عليه السلام في بيته ونصرته له .

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ هاني بن عروة مات على نفس النهج الذي مات عليه أصحاب الحسين عليه السلام ، أي أنّه كان عاملاً بالتكليف المطلوب في وقته ، والمتمثل بالوقوف مع الحق مهما اشتدّت عواقبه ، وأنّ الموت في ركاب نائب الإمام عليه السلام هو بمثابة الموت في ركاب الإمام ، ومن دون أيّما فرق .

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٠٠ .

٢. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٣١ .

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(عليكم بالجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان ، إمام هدى أو مطيعٍ له مقتدٍ بهداه .)[١]

لذا نال هاني بن عروة ذلك الشرف العظيم ، حيث عدّه الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه حين ناداهم في عصر ذلك اليوم قائلاً فيما روي عنه :

(يا مسلم بن عقيل ، ويا هاني بن عروة ، ويا حبيب بن مظاهر ، ويا زهير بن القين... ، يا أبطال الصّفا ، ويا فرسان الهيجا ، ما لي أناديكم فلا تجيبونِ ، وأدعوكم فلا تسمعونِ .)[٢]

---

١. بحار الأنوار : ج٩٧ ، ص٢٤ .

٢. موسوعة كربلاء : ج٢ ، ص١٤٨ .

انتظار الفرج من الفرج

لقد تبيّن من خلال البحث ، أنّ إدراك الفرج لا يقتصر على الذين سوف يوفقون لنصرة الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره ، بل يشمل الذين قاموا بأداء التكليف المطلوب في فترة الغيبة أيضاً ، والمتمثل بالانتظار ، حيث جعلوا عليهم السلام من الانتظار طريقاً ووسيلةً للذي يريد أن يكون من أصحاب القائم عليه السلام ، وكما مرّ في حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي جاء فيه :

(من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر .)[1]

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال :

(انتظار الفرج من أعظم الفرج .)[2]

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام حين سُئل عن الفرج ، قال :

(أليس انتظار الفرج من الفرج ؟)[3]

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٠٠ .

٢. كمال الدين وتمام النعمة : ص٣٢٠ .

٣. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٢٨

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً أنه قال :

(أولست تعلم أنّ انتظار الفرج من الفرج ؟ قال السائل : قلت لا أدري إلّا أن تعلّمني ، فقال عليه السلام : نعم انتظار الفرج من الفرج .)[1]

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٤٥٩ .

اليأس من الفرج

إنّ من الأمور المهمّة التي ينبغي الالتفات إليها في هذا المجال ، هو كيفية التعامل مع موضوع الفرج وظهور الإمام عليه السلام بالشكل المطلوب ، فمن الناس من ظهرت عليهم وبسبب طول فترة الغيبة علامات اليأس من الفرج ، وهذا ما تلمسه بشكل واضح من خلال كلامهم وتصرفاتهم .

إنّ الذي يصل إلى مرحلة اليأس ، فإنه سوف يفقد تلك الحالة المطلوبة من الانتظار والاستعداد والتهيئة لهذا الأمر المهم ، وهذا يعني تركه لأهمّ الواجبات وأفضلها وأحبّها إلى الله سبحانه وتعالى ، والذي قد يؤدي بدوره إلى الفشل وعدم التوفيق لإدراك الغاية من الفرج .

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

(انتظروا الفرج ولا تيأسوا من رَوْح الله ، فإنّ أحبَّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج .)[1]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٢٣ .

وهذا يعني أنّ ترك هذا العمل يؤدي إلى اليأس من روْح الله ، وقد قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [1]

يقول السيد محمد تقي الأصفهاني رحمه الله في كتاب "مكيال المكارم" في موضوع اليأس :

(في بيان حكم ضد الانتظار، وهو اليأس، فنقول إنّه يتصور على أقسام :

الأول : اليأس من أصل الظهور بالكلّية ، ولا شبهة في حرمة ذلك اتّفاقاً ، لأنّ ظهور القائم وقيامه من ضروريات دين الإسلام ، لأنّ الأحاديث فيه متواترة عن خير الأنام من طرق الخاص والعام ... ، فإنكاره بالكلية تكذيب للنبي صلى الله عليه وآله .... .

القسم الثاني : اليأس من ظهور القائم (عليه السلام) في مدّة معيّنة بحسب الحدسيات والوهميات ، بأن يقال مثلاً : إنّ القائم صلوات الله عليه لا يظهر إلى خمسين سنة ، ولازم ذلك عدم الانتظار في تلك المدة ، والظاهر من ملاحظة

---

١. يوسف ، ٨٧ .

الأحاديث الآمرة بالانتظار في كل صباح ومساء حرمة هذا القسم من اليأس لظهور الأمر بالوجوب ، وترك الواجب محرّم قطعاً ... .

القسم الثالث: اليأس من قرب زمان فرجه وظهوره (عليه السلام)، بمعنى نفي احتمال قرب ذلك ، كما هو حال بعض أهل زماننا ، أولئك الذين يبنون عقائدهم على الحدس والتخمين ، والظاهر من الأدلة حرمة هذا أيضاً ، لعين ما سمعت من الأدلة التي ذكرناها في القسم الثاني ، فإنّ المستفاد من الأخبار المروية عن الأئمة الأطهار عليهم السلام أنّه أخفي عن المؤمنين وقت الظهور ليكونوا منتظرين له في جميع الأزمنة والدهور .)[1]

وقد مرّ بحث ضرورة الاعتقاد بقرب الظهور بتفصيل آخر ، فراجع[2] .

---

١. مكيال المكارم : ج٢ ، ص١٤٢ - ١٤٧ .

٢. راجع ص٢٧ .

فضيلة المنتظِر

لقد ورد في فضل المنتظرين العديد من الأخبار عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد مرّ ذكر البعض منها في الأبواب السابقة ، حيث أعطت للمنتظِر منزلة الشهيد والمرابط والمقاتل في سبيل الله بين يدي القائم عليه السلام ، وأعطته من الأجر ما لهم أيضاً .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

(طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه ، يتولى وليّه ويتبرّأ من عدوّه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي ومودتي ، وأكرم أمتّي عليّ .)[١]

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس ، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله .)[٢]

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٤٥٦ .

٢. بحار الانوار : ج٥٢ ، ص١٢٣ .

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال :

(إنّ أهل زمان غيبته ، القائلون بإمامته ، المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان ، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ، أولئك المخلصون حقاً ، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً .)[1]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(العارف منكم هذا الأمر المنتظر له ، المحتسب فيه الخير ، كمن جاهد والله مع قائم آل محمد صلى الله عليه وآله بسيفه ، بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه ، بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فسطاطه .)[2]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته ، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .)[3]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص١٢٢ .

٢. المصدر : ج٦٥ ، ص١٤١ .

٣. المصدر : ج٥٢ ، ص١٥٠ .

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(ألا تعلم أنّ من انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الأذى والخوف ، هو غداً في زمرتنا .)[١]

وهذا يعني أنّ المنتظرين هم الناجون من الامتحان ، وهم الذين ورد في حقّهم أنّهم لا تضرّهم الفتنة شيئاً ، وكما جاء في الرواية الشريفة في حق المنتظر : (أولئك أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .)

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص ٢٥٦ .

علاقة الانتظار بالامتحان

إنّ الظاهر من الروايات الواردة في الامتحان والتمحيص وكذلك في موضوع الانتظار ، أنّها تشترك في أمور متعددة ، خصوصاً فيما يتعلق بالنتائج المترتبة عليها ، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

١- إنّ الناجي من الامتحان والتمحيص ، هو الذي له أهليّة الالتحاق بركب الإمام عليه السلام ، وإنّ الذي يستحق أن يدرك الفرج ، هو المنتظِر كذلك .

٢- لقد تبيّن في موضوع الامتحان ، ومن خلال النتائج الخطيرة المترتبة عليه ، والتي تمثلت إمّا بإدراك الفرج أو الارتداد عن الدين والولاية ، أنّ موضوع الامتحان لابدّ أن يكون في أهم التكاليف الشرعية ، حتى يتناسب مع تلك النتائج الخطيرة .

كذلك الحال بالنسبة إلى مسألة الانتظار ، فقد تبيّن من خلال الروايات الشريفة الواردة في فضله ، أنّه يُعدّ من أفضل الأعمال ، بل أعظمها وأحبّها إلى الله سبحانه وتعالى ، ويعدّ من أهم التكاليف في هذه الفترة .

٣- لقد مرّ في موضوع الامتحان والتمحيص ، أنّ الامتحان يجب أن يكون له علاقة بالهدف ، أي لابدّ أن يكون من سنخ الهدف ، وكذلك في موضوع الانتظار فقد ورد فيه أنّ انتظار الفرج من الفرج ، بل من أعظم الفرج .

٤- إنّ الامتحان المذكور يختص بالفترة التي تسبق ظهور الإمام عليه السلام ، ومنذ ابتداء غيبته ، وكذلك الانتظار فإنه مختصّ بالفترة ذاتها حتى ينتهي بظهوره أرواحنا فداه .

٥- إنّ الفاشل في الامتحان لا ينفعه إيمانه عند الظهور ، ما لم يكُ قبل ذلك مؤمناً ، وكما ورد عن الإمام المهدي عليه السلام أنه قال :

(فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة .)[١]

وكذلك المنتظِر ، فقد ورد في حقه عن الإمام الصادق عليه السلام :

(وأمّا من كان قبل هذا الفتح مؤمناً بإمامته ، ومنتظراً بخروجه ، فذلك الذي ينفعه إيمانه ، ويعظم الله عزّ وجلّ عنده قدره وشأنه ، وهذا أجر الموالين لأهل البيت .)[٢]

---

١. المزار للشيخ المفيد : ص٩ .

٢. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام : ص٤٧٠ .

٦- إنّ أوصاف القلة الناجية من التمحيص والفتنة والتي وردت في حقهم على لسان أهل البيت عليهم السلام ، قريبة جداً من الأوصاف التي نعتوا بها المنتظرين لهذا الأمر ، من قبيل اليقين والإخلاص والولاية، وما إلى ذلك .

بعض أسباب الفشل في الامتحان

١- الإيمان بحجة الوقت

إنّ الله سبحانه وتعالى خاطبنا في كتابه الكريم بالآيات المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام وهو يعلم بعدم وجودهم في هذه الأزمنة المتأخرة ، ثم أمر بطاعتهم وحذّر من مخالفتهم وأوعد عليها بالعقاب ، ثم طلب منّا الاعتبار ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على ضرورة وجود من تجب طاعته وتحرم مخالفته في كل زمان ، ومن وضوح الحق معه أيضاً، وكما كان للأنبياء عليهم السلام وفي جميع الأمور العامّة والخاصّة ، ولولا ذاك لما بقي معنىً للاعتبار .

وهذا ما نعتقده نحن الإمامية بالخصوص ، لأننا نعتقد بأنّ الأرض لا تخلو من وجود الحجة ، وهو المقصود بهذه الطاعة وعدم المخالفة المذكورة في تلك الآيات الكريمة التي تدعو إلى طاعة الأنبياء عليهم السلام ، فهو الذي يمثّلهم ، وإنّ مصداقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام .

لكنّ هذا إنّما يصدق في زمن حضورهم عليهم السلام ، أمّا في حال الغيبة أو عدم الحضور ، وكما في هذه الفترة ، فترة غيبة صاحب العصر أرواحنا فداه حيث لا يمكن إطاعته أو الرجوع إليه بصورة مباشرة ، فهل تعطّل مثل هذه الآيات ؟ أم أنّ هناك مصداقاً آخر غيره يمثله أو ينوب عنه لابدّ من طاعته والرجوع إليه ؟

إنّ الإيمان بشخص الحجة الذي يحتج الله سبحانه وتعالى به على العباد هو الملاك في قبول المعتقدات والأعمال ، وكذلك لا ينفع الإيمان بمن سبق من الأنبياء والأوصياء والحجج ما لم يتوّج بالإيمان بحجة الوقت الذي لا تخلو الأرض من وجوده ، أو من وجود من ينوب عنه في حال الغيبة وعدم الحضور .

وهذا في الواقع هو ابتلاء الناس على مرّ التاريخ ، حيث استطاع الكثير منهم تشخيص الحق ومن يمثله في الأزمنة التي سبقتهم ، إلّا أنّهم فقدوا تلك القدرة على تشخيصه في زمانهم ، وبقوا على ما وجدوا عليه آباءهم ورفضوا الأمر الألهي الجديد .

إنّ معرفة الحق ومن يمثّله في كل زمان لم يكن بالأمر اليسير على الناس رغم وضوح الحق وتمامية الحجة ، وإنّ الثبات بعد المعرفة والتصديق كان أشدّ منهما عليهم خصوصاً في وقت الشدّة والابتلاء والامتحان ، فقد يصل الإنسان إلى معرفة الحق ، ويميل إليه بقلبه ،

وقد ينقاد له قليلاً ، إلّا أنّه سرعان ما يصدّ عنه إذا ما تزاحم مع مصالحه الشخصية التي اعتاد أن لا يقدّم عليها شيئاً آخر .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمار بن ياسر :

(يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس كلّهم وادياً فاسلك مع علي ، فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى .)[1]

إذا نظر الإنسان المؤمن إلى هذه الرواية الشريفة ، وإلى هذه النصيحة النبوية الكريمة ، فإنه لا يجد في نفسه ما يمنعه من تقبّلها ، أو ما يقلّل من أهميتها ، أو ما يضعّف من صحتها وصحة الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها ، لكنّ الذي حدث على أرض الواقع كان على العكس من ذلك تماماً ، فإنّ أغلبية المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يلتزموا بهذه الوصية ، بل تركوا علياً عليه السلام وسلكوا الوادي الذي سلكه بقية الناس .

إنّ هذه الوصية في الواقع لا تختص بأمير المؤمنين عليه السلام ، بل هي سارية في جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وبمن ينوب عنهم كذلك ، وإنّ الغالبية العظمى من أفراد المجتمع البشري وعلى مرّ التاريخ لم

---

١. بحار الأنوار : ج٣٨ ، ص٣٩ .

يستطيعوا ترك الناس والسير خلف أنبيائهم وأئمتهم ، ولم يستطيعوا تشخيص الحق في زمانهم .

هذا على الرغم من إيمان الكثير منهم بما سبقهم من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وتشخيصهم للحق الذي كانوا عليه ، وبذلك الوضوح الذي نراه اليوم بأحقية وصية الرسول صلى الله عليه وآله لعمار ، وأحقية ما سبقنا من الذين يمثّلون السماء على مرّ العصور .

فأكثر الذين آمنوا بنبوّة موسى عليه السلام مثلاً ، وآمنوا بمن سبقه من الأنبياء ، واعتقدوا بأنّهم كانوا على الحق ، لم يؤمنوا بنبوّة عيسى عليه السلام عندما أعلن دعوته ، وإنّ أكثر الذين آمنوا بنبوّة عيسى عليه السلام وبمن سبقه من الأنبياء ، لم يؤمنوا بنبوّة النبي محمد صلى الله عليه وآله ، وكذلك الحال في أكثر الذين آمنوا بنبوّة النبي محمد صلى الله عليه وآله وبمن سبقه من الأنبياء ، لم يؤمنوا بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهكذا .

فالواقفة لم يخلُ منهم زمان على مرّ التاريخ ، أولئك الذين يتوقفون عند من اعتادوا عليه وعلى معرفته والإيمان به ، وعند من وجدوا عليه آباءهم وكبراءهم ، فهل تنفعهم مثل هذه المعرفة ، ومثل هذا الإيمان بالسابقين من الحجج في الوقت الذي أنكروا فيه الحجة في زمانهم ؟ من البديهي أنّ مثل هذه المعرفة ، ومثل هذا الإيمان لا ينفعان صاحبهما شيئاً .

أمّا السبب في هذا التخلّف المستمر عن الحق ، وعمّن يمثله من الحجج على مرّ العصور ، فإنه يرجع إلى أنّ الذي يريد أن يسلك مع علي عليه السلام ، أو مع غيره ممن يمثّل السماء ، ويدَع الناس كلّهم بحسب الروايه ، عليه أن يترك كل شيء ، ويتخلى عن كل شيء ، أي لابدّ له أن يترك أهله وأولاده وإخوانه وأقرباءه وعشيرته وأصدقاءه وجميع قومه ، وذلك لمكان قوله صلى الله عليه وآله : **(وسلك الناس كلّهم وادياً فاسلك مع علي)** ، فلم يستثنِ صلى الله عليه وآله أحداً من الناس .

ولابدّ لهذا الشخص أيضاً أن يترك داره وتجارته ومحل تكسّبه ، وأن يصرف النظر عن مكانته الاجتماعية التي عمل طوال حياته من أجل أن يحفظها لنفسه ، وهذا أمرٌ في غاية الصعوبة ، وليس بالأمر الهيّن أو اليسير ، ذلك بأن يقطع الإنسان كل هذه الأواصر التي تُعدّ من أوثق الأواصر الاجتماعية ، وأشدّها لُحمة في حياة الإنسان .

إنّ ترك الناس والالتحاق بالذي يدعوهم إلى الحق من الأنبياء والأولياء يعني كذلك اتّهام أولئك الناس بالضلالة والانحراف ، ورميهم بالباطل ، وهذا ما لا يحتمله أحد منهم ، خصوصاً الكبراء من القوم، فيؤدي ذلك إلى رفض الشخص واتهامه بشتّى التهم ، ومن ثم طرده والتبري منه . فترك الناس يعني هدم كل ما بناه الإنسان لنفسه طوال فترة حياته في مجتمعه الذي يعيش فيه ، وهذا ليس بالأمر السهل أو البسيط .

أمّا بالنسبة إلى الشخص الذي يعيش خارج ذلك النطاق الزماني أو المكاني الذي يتواجد فيه الحجة ، فإنّه يسهل عليه تصديقه والإيمان به وبمن سبقه من الحجج كذلك ، لأنّ ذلك لا يكلّفه أكثر من تحريك لسانه فقط .

لذا تجد أنّ القرآن الكريم عندما يذكر حزب الله في سورة المجادلة ، ويعطيهم تلك الأوصاف والأوسمة والمراتب الرفيعة ، إنّما يأتي ذلك كلّه بعد نعتهم بصفة واحدة فقط ، على رغم اتّصافهم بشتى الصفاة الحميدة والممدوحة الأخرى ، وهي قدرتهم على قطع مثل تلك الأواصر القوية والمهمّة ، إذا ما تزاحمت مع الأمر الأهمّ منها والمقدّم عليها من الاعتقاد والعمل .

فلصعوبة هذا العمل ، ولقوة تلك الأواصر اختار الله سبحانه وتعالى هذه الصفة لينعتهم بها دون غيرها من الصفاة الأخرى التي يتحلّون بها .

قال تعالى :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [1]

يقول الشيخ المجلسي ﴿رحمه الله﴾ تعقيباً على رواية الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ التي جاء فيها في وصف الناجين من الفتنة :

(فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه ، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه .) [2] : {ولعلّ المراد بأخذ الميثاق قبوله يوم أخذ الله ميثاق نبيّه وأهل بيته ، مع ميثاق ربوبيته ، كما مرّ في الأخبار ، "وكتب في قلبه الإيمان" إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ...﴾ الآية، والروح هو روح الإيمان كما مرّ .} [3]

وقال تعالى أيضاً :

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي

---

١. المجادلة ، ٢٢ .

٢. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٢٨١ .

٣. المصدر : ص٢٨٢ .

سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١]

إنّ مسألة حبّ الله ورسوله هي من المسائل القلبية التي لا يمكن تشخيصها بسهولة ، حيث يمكن للإنسان أن يدّعيها ببساطة ، لذا قرنها الله سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيله من أجل أن تتضح حقيقة ذلك الحب وجهته من خلاله ، لأنّ المجاهد في سبيل الله هو الذي يستطيع أن يتحرر من خلال جهاده من كل تلك القيود ، ومن كل تلك الأواصر القوية ، ويقدّمه عليها .

فاختيار الله سبحانه وتعالى لمسألة الجهاد في سبيله دون الأعمال العبادية الأخرى في الآية الكريمة ، لأنّ بقية الأعمال العبادية لا تتزاحم مع تلك الأواصر ، أمثال الصلاة والصيام والحج وغيرها من الأعمال الأخرى .

إنّ المجاهد في سبيل الله حين يقطع مثل تلك الأواصر المذكورة في الآية الكريمة ، فذلك يعني أنّه قد استطاع في الواقع أن يقطع تعلّقه بالدنيا ، فتلك الأواصر إنّما تصبح مذمومة ، ويعتبر التعلّق بها من التعلق المذموم ، أو التعلّق بالدنيا ، فيما إذا قدّمها الإنسان على ما هو أهم منها ومقدّم عليها من الاعتقادات والأعمال ، وإلّا فإنّ

---

١. التوبة ، ٢٤ .

الأمور المذكورة في هاتين الآيتين المباركتين ليست مذمومة بحد ذاتها ، بل تُعدّ من العبادات المطلوبة والمندوبة ، كحب الوالدين وحب الأهل والأولاد والأرحام ، وكذلك بالنسبة إلى التكسّب والتجارة وطلب الرزق ، وما إلى ذلك .

فعلى هذا الأساس ينبغي على الذي يريد أن يلتحق بركب الإمام المهدي عليه السلام أن يتحلّى بمثل هذة الصفة المتميّزة والمهمّة التي وُصِف بها حزب الله في القرآن الكريم ، والمتمثلة في القدرة على تقديم الأهم على المهم عند اقتضاء الضرورة ، وذلك لما لهذه الصفة من الأثر البالغ في المساعدة على اتخاذ القرار السريع والصحيح في الأوقات الحرجة التي تستلزم مثل هذا الحسم ، وخصوصاً عند ظهور الإمام عليه السلام .

ذلك الظرف الحسّاس الذي ينبغي على الإنسان المؤمن فيه أن يكون قاطعاً في تصميمه ، وأن يكون مستعداً لترك جميع متعلقاته وراء ظهره ، والالتحاق بإمامه عليه السلام .

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ هذا الحسم في اتخاذ القرار السريع والصحيح، وكذلك الاستعداد لترك المتعلقات لا يأتي هكذا عن طريق الصدفة ، ومن دون مقدمات ، بل يحتاج إلى نوع من المجاهدة والمراقبة والتمرين ، ولعلّ أفضل وسيلة لتحصيل مثل هذه الملكات، هو العمل بالانتظار ، ذلك بأن يكون الإنسان في حالة من المرابطة الدائمة

والمستمرة مع من ينوب عن الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ، فيكون بذلك مقتدياً بإمام زمانه عليه السلام ، وكما ورد عن الإمام المهدي عليه السلام أنّه وصف نفسه في مقدّمة رسالته إلى الشيخ المفيد قدس سره بصفة المرابطة في سبيل الله دون الصفاة الأخرى التي يتحلّى بها ، والتي جاء فيها :

(من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله .)[1]

فالذي يريد أن يقتدي بإمامه عليه السلام قبل قيامه ، عليه أن يكون مرابطاً في سبيل الله ، وإنّ أفضل المرابطة تتمثّل في لزوم طاعة من يجب عليه طاعته واتّباعه في هذه الفترة .

وكما ورد في رواية الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنه قال في مدح الاقتداء بالحجة عليه السلام :

(طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه ، يتولى وليّه ويتبرأ من عدوّه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي ومودتي ، وأكرم أمتّي عليّ .)[2]

وهنا يتعين على الإنسان المؤمن والملتزم أن يشخّص الذي ينوب عن الحجة عليه السلام في زمانه ، لينبري إلى طاعته ونصرته والاستعداد

---

١. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص١٧٦ .

٢. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٤٥٦ .

للقيام والتضحية معه ، وإعانته على إقامة حكم الله ، ومن ثمّ الحفاظ على دولته من كيد الأعداء ، لأن الأرض لا تخلو من وجود الحجة ، أو من وجود من ينوب عنه في حال الغيبة أو عدم الحضور ، ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [1] .

فامتحان الغيبة وكما عرفت لابدّ أن يكون في مثل هذه الأمور ، لكي يكون منسجماً مع الهدف من ظهوره عليه السلام ، وهذا ما تبيّن في موضوع الانتظار وبشكلٍ واضحٍ أيضاً .

---

١. النساء ، ١٦٥ .

٢- يأتي بأمر جديد

إنّ من المسائل المتكررة في التاريخ والتي يذكرها القرآن الكريم كحالة سلبية ، هي مسألة عدم قبول الناس للأمر الإلهي الجديد فيما يختص بالرسالات والرسل .

قال تعالى :

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [١]

وقال أيضاً :

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [٢]

وقال كذلك :

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾ [٣]

---

١. الشعراء ، ٥ .

٢. الأنبياء ، ٢ .

٣. الحجر ، ١١ .

إنّ طباع الناس تميل في الغالب إلى ما اعتادت عليه من الأعراف والعادات والطقوس التي وجدوا عليها أسلافهم من الآباء والكبراء ، فمن الصعب جداً على الكثير منهم ترك تلك الأمور التي كانوا قد ألِفوها واعتادوا عليها ، لأنّ ترك العادة وكما ورد في الأخبار أشبه بالمستحيل ، وقد وردت آيات متعددة في القرآن الكريم تشير إلى إصرار الناس على البقاء على ما ألِفوا عليه آباءهم ، قال تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [١]

وقال كذلك :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [٢]

وقال أيضاً :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا﴾ [٣]

---

١. الزخرف ، ٢٣ .

٢. البقرة ، ١٧٠ .

٣. المائدة ، ١٠٤ .

إنّ هذا الأمر في الواقع لا يقتصر على الكفار ، ولا على المشركين وعبدة الأوثان ، ولا يختص بزمان دون آخر ، فالجميع مخاطبون بهذه الآيات الكريمة ، وفي معرض الابتلاء بهذه الأمراض .

فترى في هذه الأزمنة المتأخرة مثلاً ، والتي سبقتها كذلك ، من يرفض أي نوع من أنواع التجديد في مجال الفهم الديني ، والرؤية المعرفية التي يطرحها بعض الفقهاء والمفكرين المتحررين من القيود التي تقيّد بها البعض في التوقّف عند المعروف والمألوف من العلوم والمعارف الدينية والإلهية ، وإعطائهم القدسية لكل ما هو موروث قديم .

وكذلك التزامهم بعدم الخروج عمّا كان عليه السلف من العلماء، بل حتى التوقف عند الكتب الدرسية التي اعتادوا على دراستها وتدريسها ، وعدم قبول التغيير الذي يتطلبه الظرف من حيث الزمان والمكان والأمور المستجدة .

وهذا ما سوف يتكرر أيضاً ـ أعني عدم قبول الأمر الجديد ـ عند ظهور الإمام صاحب العصر عليه السلام ، وذلك عندما يأتي بالجديد من العلوم والمعارف ، أو يقضي بما لم يكن مألوفاً ، أو كان مستبعداً عند عامّة الناس ، أو عندما يأتي بالصحيح من الأعمال والعبادات والشعائر الدينية .

فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال :

(العلم سبعة وعشرون حرفاً ، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين فبثها في الناس ، وضمّ إليها الحرفين ، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً .)[١]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال :

(إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً ، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثِر وضلّ عنه الجمهور ، وإنّما سُمّي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه .)[٢]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(يقوم بأمر جديد ، وسنّة جديدة ، وقضاء جديد .)[٣]

وروي عنه عليه السلام أيضاً :

(وإنّما سُمّي المهدي مهدياً لأنه يهدي إلى أمرٍ خفيّ .)[٤]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣٣٦ .

٢. المصدر : ج٥١ ، ص٣٠ .

٣. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٣٥ .

٤. المصدر : ص٢٣٧ .

فقد يألف الناس أموراً لم ينصّ عليها دين ، ولم ترِد في سنّة ، إنّما توارثوها عن آبائهم وأسلافهم وهم يحسبونها من صلب الدين والعقيدة ، فإذا صدر الأمر من الإمام عليه السلام بتركها والإقلاع عنها ، أو الاتيان بها على غير الصورة التي كانوا قد ألِفوها واعتادوا عليها ، ترى الشكوك والظنون تأخذ مأخذها في قلوب الكثير منهم ، من الذين اعتادوا على تلك الممارسات واعتقدوا صحّتها ، فيشرعون بالرفض والإعراض والاعتراض والمخالفة والتعصّب لما ألفوا عليه آباءهم ، فتجري فيهم السنن الإلهية التي لا تقبل التبديل كما جرت على الذين خلوا من قبلهم :

﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ [1]

إنّ الذي يستطيع أن يتجاوز تلك الموانع المذكورة في الآيات الكريمة التي تقف مانعاً أمام تشخيص الحق ، واتّباع حجة الوقت ، والذي يتمكن من إطاعة أوامر إمام زمانه بعد ظهوره وإن خالفت هواه ، وخالفت ما وجد عليه الآباء والكبراء ، أو خالفت ما اعتاد عليه من الطقوس والشعائر ، ذلك الذي يستطيع اليوم أن يتجاوزها طاعةً لنائب الإمام عليه السلام في فترة غيبته .

---

١. الأحزاب ، ٦٢ .

٣- أعداؤه من علماء السوء

إنّ من الأمور التي سوف تُبتلى بها الأمّة عند ظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه ، هي أنّ من الذين سوف يتصدّون لتكذيبه والوقوف أمامه ، هم بعض من يتلبّس بلباس الدين ، ويُعرف بالعلم والفقاهة في الأوساط الدينية والشعبية .

وهذا ما سوف يكون سبباً من أسباب انحراف الكثيرين من الذين يعتمدون على أمثال هؤلاء العلماء ويثقون بهم ، ويكون ذلك سبباً أيضاً لتولّد الشكوك في قلوب آخرين ، وذلك بسبب الاختلاف الذي سوف يحصل بين المؤيّد والمخالف من العلماء ، مما يُدخل عوام الناس من الذين لم يشخّصوا بعدُ العالِم الذي لابدّ لهم من إطاعته والرجوع إليه في نوع من التيه والحيرة .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(أعداؤه مُقلِّدة العلماء أهل الاجتهاد ، لما يرونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم ، فيدخلون كرها تحت

حكمه خوفاً من سيفه ... إلى أن قال عليه السلام : ولولا أنّ السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله .)[١]

وليس هذا بالأمر الجديد أو المستبعد ، فالذين كذّبوا الأنبياء والأوصياء وصدّوا عن سبيل الله من علماء السوء لم يخلُ منهم زمان على مرّ العصور ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ﴾[٢]

وكذلك الحال في عصر الأئمة عليهم السلام ، حيث لم يخلُ من هذه الظاهرة أيضاً ، ظاهرة علماء السوء ، ووعّاظ السلاطين الذين كان ديدنهم مخالفة أهل البيت عليهم السلام ، وكذلك الحال في عصر الغيبة الصغرى من الذين خالفوا النوّاب الأربعة للإمام الحجة عليه السلام ، أو من الذين يخالفون نوّابه العامّين في عصر الغيبة الكبرى ، وهكذا .

وقد مرّ مثل هذا الاختلاف في عصرنا الحاضر أيضاً ، عندما نهض الإمام الخميني قدس سره وقام بثورته المباركة ، وأقام دولته الإسلامية التي أعادت الحق المضيّع والمغصوب إلى أهله في هذه البقعة الطيبة من الأرض ، تصدّى لمخالفته بعض أولئك الذين يتظاهرون بالفقاهة

---

١. إلزام الناصب : ج٢ ، ص٩١ .

٢. التوبة ، ٣٦ .

والقداسة ، بحجة حرمة القيام على سلاطين الجور في زمن الغيبة ، وحرمة تدخّل الفقيه في السياسة ، وما إلى ذلك من الأمور التي لو اجتمعت عليها الأمّة لبقي الدين أسيراً في أيدي الأشرار ، ولما قامت له قائمة .

فكان ذلك سبباً في وقوع بعض الناس في شبهة اختلاف العلماء، وفي التشكيك والمخالفة ، غافلين عن اجتماع مراجع الطائفة المعاصربن للإمام الخميني ﷺ ، وكذلك اجماع المئات من العلماء والمجتهدين في داخل الجمهورية الإسلامية وخارجها على تأييده في قيامه ، وبعد إقامته للدولة الإسلامية ، وهذا يكفي لإتمام الحجة على الذين فقدوا قدرة التشخيص فيما يعود إلى هذه المسألة الحسّاسة والبالغة الأهمية .

٤- أنصاره عليه السلام

إنّ من موارد الابتلاء الأخرى التي سوف يُبتلى بها البعض في عصر الظهور ، هي أنّ الكثير من أصحاب الإمام عليه السلام هم من الأشخاص الغير معروفين في المجتمع ، فيكون ذلك سبباً للاستنكار والتوقّف ، لإنّ الطباع تميل وتأنس بحسب العادة بالمعروفين لديها من أصحاب الوجاهة من الناس ، وأصحاب السابقة الإيمانية والسمعة الطيبة ، ولو بالمنظار العرفي والتقليدي .

وهذا ما كان عليه الناس في الأزمنة المتقدمة أيضاً ، وخصوصاً لدى أصحاب النفوذ والمستكبرين منهم ، حيث كانوا يعيبون على الأنبياء استضعاف أصحابهم ، ودنو مكانتهم الاجتماعية ، ويعتبرون انخراطهم في جمع فيه مثل هؤلاء الأصحاب منقصة لهم ، ولا يليق بشأنهم ومكانتهم ، وقد تحدّث القرآن الكريم في آيات متعددة بهذا الخصوص ، قال تعالى :

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [١]

---

١. الشعراء ، ١١١ .

وقال تعالى أيضاً :

﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [١]

وإنّ الأدهى من ذلك إذا كان بعض أنصار الإمام الحجة عليه السلام وأصحابه من جديدي العهد على الإسلام ، حيث يهتدي الكثير من أهل الديانات والمذاهب الأخرى إلى الحق قبل ظهوره عليه السلام .

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

(هو المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، تكون له حيْرة وغيْبة ، يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون .) [٢]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(إذا خرج القائم (عليه السلام) خرج من هذا الأمر من كان يرى أنّه من أهله ، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر .) [٣]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(لينصرنّ الله هذا الأمر بمن لا خَلاقَ له.) [٤] أي في الدين .

---

١. هود ، ٢٧ .

٢. الغيبة للشيخ النعماني : ص٦١ .

٣. المصدر : ص٣١٧ .

٤. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣٢٩ .

إنّ غالبية الناس يكنّون احتراماً خاصاً لبعض الرموز والشخصيات المعروفة لديهم في المجتمع ، وخصوصاً في أوساطهم الدينية ، أو في مجتمعاتهم الصغيرة ، أمثال عالِـم المحلّة وكبير العشيرة ، وغيرهم من الذين غالباً ما يكون سنّهم قد تجاوز سنّ الشباب .

فلعلّ من جملة الابتلاءات التي سوف يُبتلى بها البعض عند ظهور الإمام عليه السلام ، هي أنّ الكثير من أصحاب الإمام عليه السلام هم في سن الشباب ، وخصوصاً من بين القادة الثلاثمائة وثلاثة عشر ، فيوقع ذلك بعض الناس في الشك والريبة ، خصوصاً عندما لا يجدون لرموزهم وشخصياتهم المعروفة محلاً بين أصحاب الإمام عليه السلام .

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في أصحاب القائم عليه السلام :

(إنّ أصحاب القائم شباب لا كهول فيهم ، إلّا كالكحل في العين ، أو كالملح في الزاد ، وأقلّ الزاد الملح .)[1]

وإنّ هذا الأمر كان سبباً للابتلاء والفتنة في أكثر مقاطع التاريخ ، فقد اعترض المسلمون ، وخصوصاً كبار السن منهم عندما أمّر رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد عليهم في الجيش لصغر سنّه ، وكانوا قد اعترضوا على تنصيب أبيه من قبل لنفس السبب ، وكذلك كان موقفهم من تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام وتأميره عليهم .

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣١٦ .

وهـذا مـا سـوف يتكـرر مـع الإمـام المهـدي عليه السلام أيضـاً بسـبب خروجه وكما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بهيئة الشباب .

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(لو قام القائم لأنكره الناس لأنّه يرجع إليهم شاباً موفقاً.)[١]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(إنّ من أعظم البليّة أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً .)[٢]

ولعلّ من أسباب الابتلاء بهذه المسألة ، هو ما اعتاد عليه الناس في الغالب من رؤية زعامتهم الدينية بيد كبار السن من العلماء والفقهاء ، وإنّ طاعة الشاب ليس بالأمر المستساغ عندهم ، خصوصاً عند بعض كبار السن .

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص١٨٨ .

٢. المصدر : ص١٨٩ .

٥- إظهاره للمعارف الإلهية التوحيدية

إنّ من الأمور التي سوف يفتح الإمام عليه السلام الباب أمام ظهورها وانتشارها ، ويرفع الحجاب عنها ، هي المعارف الإلهيّة التوحيدية ، وهي من المعارف الغير المألوفة في المجتمع ، والبعيدة عن أذهان الكثير من الناس ، لذا تكون سبباً للرفض والتشكيك والتردد .

إنّ الإمام المهدي عليه السلام مكلّف بنشر الإسلام كما أُنزل وكما هو، ومن غير تقية أو محذور ، فالشريعة الكاملة لابدّ لها وأن تظهر بكمالها قبل أن تقوم الساعة ، وإلّا ما الفائدة من شموليتها إذا بقي جزء منها مستوراً ، أو مخزوناً في صدور الأولياء لا يخرج منهم إلّا لمن يروا فيه الاستعداد والأهلية لتقبّله وتحمّله .

قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[١]

---

١. الفتح ، ٢٨ .

فالآية الكريمة تتكلم عن إظهارٍ وظهورٍ للدين الحق ، وإنّ هذا الأمر وكما ورد في الأخبار الشريفة لا يتحقق إلّا في عصر الإمام صاحب الزمان عليه السلام .

يقول السيد حيدر الآملي قدس سره في كتاب "جامع الأسرار" :

(وإلى هذا أشار علماؤنا في كتبهم ، وقالوا : التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم الذي به يظهر الدين كلّه .)[1]

ثمّ كيف تبقى تلك المعارف في الخفاء وهي أسّ أساس الدين ، وغاية آمال الأنبياء والمرسلين ، وقرّة عين الأولياء والصالحين .

نعم ، تلك معرفة الله تعالى ، وما أدراك ما معرفة الله ، فلها الأولوية من جهة، ولها من المراتب ما لا يقبل الحصر من جهة أخرى، وذلك لأنّ حقيقته تعالى حقيقة مطلقة لا يحدّها حدّ .

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(أول الدين معرفته . وكمال معرفته التصديق به . وكمال التصديق به توحيده . وكمال توحيده الإخلاص له .)[2]

---

١. جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص٣٤ .

٢. نهج البلاغة : ج١ ، ص١٤ .

إنّ الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وأراد منه الوصول إلى كماله الذي رسمه له ، والغاية التي خلقه من أجلها ، فإنّه بيّن له سُبل الوصول إلى ذلك الكمال وتلك الغاية ، فليس من شأن الحكيم أن يعيّن للإنسان هدفاً ثم لا يبيّن له الوسيلة التي توصله إليه ، أو أن يكلّفه بما لا يطيق ، فإذا كانت الغاية من خلق العباد ، هي أن يتعرّفوا على خالقهم ، وكما جاء في الحديث القدسي :

(كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف ، فخلقت الخلق لكي أُعرف .)[١]

وروي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال :

(أيها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه .)[٢]

وقال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]

وبما أنّ العبادة لا تقع موقعها إلّا من خلال المعرفة ، وأنّ العبادة هي مقدّمة لمعرفة أخرى متقدّمة على سابقتها ، فتكون الغاية من

---

١. بحار الأنوار : ج٨٤ ، ص٣٤٤ .

٢. علل الشرائع : ص٩ .

٣. الذاريات ، ٥٦ .

خلقة الجن والإنس وكما صرّح بذلك الكثير من أهل المعرفة والحكمة، هي المعرفة .

يقول العلّامة الطباطبائي ﴿قدس سره﴾ في "تفسير الميزان" :

{وقوله : ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ ...، ولو كان للعبادة غرض كالمعرفة الحاصلة بها ، والخلوص لله ، كان هو الغرض الأقصى ، والعبادة غرضاً متوسطاً .} [١]

ويقول السيد ابن طاووس ﴿قدس سره﴾ في كتاب "فلاح السائل" :

{وكشف برحمته وجوده آيات باهرات... ، في قوله الذي وعاه ورعاه العارفون : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . فإنه إذا كان مراده جلّ جلاله من خلقهم سعادتهم بمعرفته وعبادته ، وتشريفهم بخدمته... .} [٢]

ويقول الملّا هادي السبزواري ﴿قدس سره﴾ في كتاب"شرح الأسماء الحسنى":

{كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفون .} [٣]

---

١. الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ ، ص٣٨٦ .

٢. فلاح السائل : ص٣ .

٣. شرح الأسماء الحسنى : ج١ ، ص١٨٩ .

معرفة الله سبحانه

لابدّ للإنسان أن يعلم بأنّ معرفة الله سبحانه وتعالى لا تقتصر على المعرفة الحصولية الذهنية والعقلية ، فهي معرفة محدودة ، والله سبحانه منزّه عنها كل التنزيه .

قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

(كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، ولعلّ النمل الصغار تتوهم أنّ لله زبانيتين (زبانتين) ، فإنّ ذلك كمالها ويتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما ، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به .)[2]

---

١. الصافات ، ١٦٠ .

٢. بحار الأنوار : ج٦٦ ، ص٢٩٣ .

يقول العلّامة الطباطبائي ﷺ في "رسالة الولاية" في أهمية معرفة الله سبحانه وتعالى وأثرها في العبادة :

(وحينئذٍ (أي بعد المعرفة الحقّة) **يقع التوجّه العبادي موقعه ، ويحلّ محلّه ، إذ بدونه كلّ ما توجهنا إليه فقد تصوّرنا شيئاً كائناً ما كان ، وهذا المفهوم المتصوّر ، والصورة الذهنية ، وكذا مطابقه المحدود المتوهّم ، غيره سبحانه . فالمعبود غير المقصود ... . وهذا بخلاف عبادة العارفين بالله المخلصين له ، فإنهم لا يتوجّهون في عبادتهم لا إلى مفهوم ، ولا إلى مطابق مفهوم، بل إلى ربّهم جلّت عظمته وبهر سلطانه .)**[1]

فلهذه المعرفة ، والتي تسمّى بالمعرفة الشهودية أفق آخر يمتاز عن الأفق الأول (الحصولي) امتياز البصر عن فاقده ، وكلٌّ له فضله بتفاضل درجات المؤمنين .

لذا وبسبب هذا التفاوت في مراتب المعرفة تجد أنّ الأنبياء والأولياء عليهم السلام كان لهم من الأصحاب من يختصّوه ببعض المعارف والأسرار التي لا يُطلعون عليها غيرهم ، ولهذا وردت تسمية هؤلاء الأصحاب بالحواريين والخواص ، أو بأصحاب السر .

---

١. رسالة الولاية : ص٤٩ .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان .)[1]

فيا ترى ما هي تلك المعارف والأسرار ؟ ولماذا يحتملها البعض من الناس ولا يحتملها ولا يطيقها البعض الآخر ؟ بل قد يصل بهم الأمر إلى تكفير أصحابها ورميهم بالإلحاد والانحراف .

ولماذا لم يكُ أبو ذر الغفاري رغم منزلته ومكانته الإيمانية الرفيعة ليحتمل ما في قلب سلمان المحمّدي "رضوان الله تعالى عليهما" ؟ وهي قطرة من بحار علوم آل محمد عليهم السلام .

يقول السيد حيدر الآملي قدس سره في كتاب "جامع الأسرار" :

{وكما فعل (النبي صلى الله عليه وآله) بسلمان أيضاً ، أي جعله صاحب سر ، وقال فيه : (سلمان منّا أهل البيت) ، أي منّا أهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة ، لا من أهل بيت النسوان والصبيان والأهل والأولاد . وقال تأكيداً لهذا المعنى : (لو علم أبو ذر ما في بطن سلمان من الحكمة ، لكفّره!)، وروي (لقتله !) ، وكلاهما صحيح .}[2]

---

١. بحار الأنوار : ج٢ ، ص١٨٣ .

٢. جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص٢٥ .

فكيف بالإمام صاحب العصر عليه السلام إن أراد أن يكشف الستار عن تلك الحقائق ، وعن تلك الأسرار ، ويظهرها من غير تقيّة ؟ وكما ورد في كلمات علماء الإمامية الذي مرّ بيانه ، من إظهاره عليه السلام للدين كلّه من غير تقيّة .

وهنا يأتي دور الممهّدين لظهوره عليه أفضل الصلاة والسلام ، فإنّ عليهم أن يفتحوا الباب أمام تلك العلوم والمعارف ، ليمهّدوا الأذهان والأنفس لتقبّلها والأنس بها قبل خروجه عليه السلام .

إنّ العارف بالله في الواقع هو صاحب البصيرة الحقيقي ، لأنّه ينظر إلى الأمور بغير المنظار الذي ينظر به الآخرون ، ويزنها بغير ميزانهم ، بل ينظر إليها ويزنها بالميزان التوحيدي ، والنظرة التوحيدية لهذا العالم ، أو ما يسمى بالنظرة الكونية المبتنية على أساس التوحيد، والتي تشكّل البعد العميق والأساسي لمعنى البصيرة ، أو البعد الفكري والعقائدي لها ، والذي يستند عليه البعد الآخر لها ، والمتمثل بالبعد العملي .

وقد ورد الحث في هذه الفترة ـ الغيبة الكبرى ـ على التقرّب بهذا الدعاء الشريف المروي عن الإمام الصادق عليه السلام ، والذي ورد فيه :

(اللّهُمَّ عَرِّفِني نَفْسَك ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني نَفْسَك لَمْ اعْرِفْ نَبِيَّك ، اللّهُمَّ عَرِّفِني رَسُولَك ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفني رَسُولَك

لَـمْ اعْـرِفْ حُجَّتَك . اللّهُـمَّ عَـرِّفْنِي حُجَّتَـك ، فَإنَّـكَ إنْ لَـمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَك ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي .)[1]

فمـن معرفتـه تعـالى تتفـرّع المعـارف الأخـرى نـزولاً ، كمعرفـة النـبي والرسول والإمام ، وبواسطتهم ومن خلالهم وبمعرفتهم يستقيم التوحيد صـعوداً ، فـبهم بـدأ اللّه وبهـم يختـم ، وكمـا ورد في زيـارة الجامعـة الـتي جاء فيها :

(مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ... ، بِكُمْ فَتَحَ اَللّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ .)[2]

فهذه المعارف هي أشرف كل المعارف والعلوم ، وذلك لأنّ شرف العلم بالمعلوم ، فكلّما ازداد المعلوم شرفاً ، ازداد العلـم المتعلق به شرفاً بحسبه ، فكيف إذا كان المعلوم هو الله سبحانه وتعالى وأنبياءه ورسله وأولياءه ؟ فمن البديهي أن يكون العلـم بهـم أشرف العلوم ، وللعالـِم بهم كذلك وبالتبع ، فتدبّر .

---

١. الكافي : ج١ ، ص٣٣٧ .

٢. بحار الانوار : ج٩٩ ، ص١٣١ .

التوحيد

إنّ الـذي يريـد أن يصـل إلى تلـك السـعادة ، وإلى تلـك المعرفـة ، عليه أن يقف على تلك السبل التي يمكن له من خلالها أن يصل إلى ذلك الهدف السامي والمقام المنيع والدرجة الرفيعة ، وهذا يتوقف على مقـدمات اعتقاديـة وعمليـة لابـدّ منهـا في طـي مثـل هـذا الطريـق ، والوقوف على مسألة أساسية وضرورية يمكن إجمالها بكلمة واحدة فقط ، وهي التوحيد .

ذلك التوحيد الذي قامت على أساسه السماوات والأرض ، فهو مدار جميع الكمالات ، وأساس جميع المقامات والمراتب، فالكل يشير إليه ويدل عليه ، وهو مصداق الكلمة الطيّبة ، والأصل الثابت الذي جاء مَثلُه في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[١]

---

١. إبراهيم ، ٢٤,٢٥ .

يقول العلّامة الطباطبائي قدس سره في "تفسير الميزان" :

{فالتوحيد هو الأصل الذي عليه تنمو شجرة السعادة الإنسانية ، وتتفرّع بالأخلاق الكريمة ، وهذه الفروع هي التي تثمر ثمراتها الطيبة في المجتمع ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ... الآية ﴾ **}**[1]

فالتوحيد ليس كما يظنّ البعض بأنّه مجرّد لفظ يسوق إلى معنى واحد فقط ، وهو ذاك المعنى المتعارف لدى عامّة الناس ، والذي يعتقدونه ويدينون به .

إنّ هذا المعنى المتعارف وإن كان صحيحاً في حدّ ذاته ، إلّا أنّ حقيقة التوحيد أكثر سعة من ذلك بما لا يقبل الحصر ، حيث لا يخرج عن حيطته شيء في هذا الوجود ، ويمكن له إذا ما دخل حيّز التطبيق الصحيح أن يعمّ جميع شؤون الإنسان من غير استثناء .

يقول العلّامة الطباطبائي قدس سره في "تفسير الميزان" :

(ومعنى سراية التوحيد في الأعمال كون صورها تمثل التوحيد ، وتحاكيه محاكاة المرآة لمرئيها ، بحيث لو فرض أنّ التوحيد تصوّر لكان هو تلك الأعمال بعينها ،

---

١. تفسير الميزان : ج١١ ، ص١٥٥ .

ولو أنّ تلك الأعمال تجرّدت اعتقاداً محضاً لكانت هي هو بعينه .)[1]

أي أنّ للتوحيد هذا مظاهر في حياة الإنسان تتجلى في جميع معتقداته وأفعاله ، فكلّما اقتربت هذه العقائد والأفعال من التوحيد اقترب الإنسان من كماله وسعادته ، والعكس صحيح ، وإنّ مسير الكمال هذا على درجات غير متناهية ، قد يصل الفرق ما بين الدرجة والدرجة في بعض الموارد إلى ما بين السماء والأرض .

فكلّما شغل التوحيد حيّزاً أكبر من حياة الإنسان ، اقترب صاحبه من كماله وهدفه ، فللتوحيد مراتب متعددة ، وللموحّد أيضاً بتبعها ، وأنّ مثاله الأكمل هو المعصوم عليه السلام ، ثم الأمثل فالأمثل من خلّص شيعتهم وأوليائهم ، حتى ينتهي الأمر إلى عامّة المؤمنين والمسلمين باختلاف مراتبهم فيه وفي فهمه ، ولولا ذاك لما جاء في القرآن الكريم في حق أكثر المؤمنين بأنّهم مشركون ، قال تعالى :

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[2]

وأنت تعلم بأنّ الشرك إنّما يقع في مقابل التوحيد ، فلو كان التوحيد منحصراً في ذلك المعنى المتعارف لدى عامّة الناس ، لما كان

---

١. تفسير الميزان ، ج٦ ، ص٢٦١ .

٢. يوسف ، ١٠٦ .

يصدق إطلاق الشرك على أكثر المؤمنين بالله في الآية الكريمة ، لأنّ المؤمن لا يعتقد بوجود الشريك له سبحانه ، وإنّ هذا الشرك لا يتناسب مع الإيمان بالله عزّ وجلّ .

روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال في قول الله عزّ وجلّ :

{ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ : (هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه .) ، قلت : فنقول : لولا أن الله منَّ عليّ بفلان لهلكت ، قال ﷺ : (نعم لا بأس بهذا ونحوه .) }[1]

وقد يسمى هذا الشرك بالشرك الخفي ، لأنّه يخفى على الكثير من الناس ، حيث يصعب عليهم الالتفات إليه ، لكن يمكن للإنسان بعد التفحص والمراجعة أن يقف على حقيقته ، وهو من قبيل الرياء واتّباع الهوى وطاعة الشيطان ، وأمثال ذلك .

وروي عن الإمام الصادق ﷺ أنه سُئل عن تفسير الآية الكريمة :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

---

١. بحار الانوار : ج٥ ، ص١٤٨ .

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١] ، فقال عليه السلام : (من صلى أو صام أو أعتق أو حجّ يريد محمدة الناس ، فقد أشرك في عمله ، وهو شرك مغفور .)[٢]

يقول الفيض الكاشاني قدس سره تعقيباً على هذه الرواية الشريفة :

{يعني أنه ليس من الشرك الذي قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[٣] **، وذلك لأنّ المراد بذلك الشرك الجلي ، وهذا هو الشرك الخفي .}**[٤]

إلّا أنّ هنالك قسماً آخر من الشرك أخفى من الأول ، وأكثر بعداً عن الأذهان ، بل قد يصل إلى مرحلة الغيب عنها بالكليّة ، وهو كذلك بالفعل لشدّة خفائه ، وهو الشرك الذي تكلّم عنه النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله فيما روي عنه ، أنه قال :

(دبيب الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء .)[٥]

---

١. الكهف ، ١١٠ .

٢. بحار الأنوار : ج٦٩ ، ص٣٠١ .

٣. النساء ، ٤٨ .

٤. تفسير الصافي : ج٣ ، ص٢٧٠ .

٥. شرح أصول الكافي : ج٨ ، ص٤٧ .

فمن يستطيع أن يرى لتلك النملة أثراً ، أو أن يسمع لها دبيباً أو حسيساً في مثل ذلك الحال المذكور ، والنبي صلى الله عليه وآله يقول بأنّ دبيب الشرك في أمته أخفى من ذلك الدبيب . فأيّ شرك هذا ؟ وفي مقابل أيّ توحيد يقع ؟

لقد ورد في أقوال بعض أصحاب المعرفة، أنّ هذا النوع من الشرك إنّما يقع مقابل التوحيد الوجودي ، وهو التوحيد الذي يُبطل كل ما سوى الله سبحانه وتعالى ، ويثبت الوجود له وحده لا شريك له .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

{أصدق كلمة قالتها العرب ، كلمة لبيد : **(ألا كل شيء ما خلا الله باطل .)**}[1]

قال تعالى :

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]

فما الذي أبقى لغيره جلّ وعلا بعد هذه الأوصاف التي وردت في هذه الآية الكريمة ؟ وهل يبقى للغير وجود حقيقي في قبال الوجود الحقيقي المطلق للحق تعالى ؟ وهل وراء الإطلاق الذي لا حدّ له شيء يُذكر ؟

---

١. بحار الانوار : ج٦٧ ، ص٢٩٥ .

٢. الحديد ، ٣ .

يقول العلّامة حسن زاده الآملي[١] حفظه الله في حاشية كتاب "كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد" :

(وينتهي الأمر إلى أنّ الوجود المطلق الحق القيّوم : هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وأنّ الخلق ، هو: الموجود المقدّر القائم به قيام الفعل بفاعله والكلام بمتكلمه .)[٢]

لقد بُني النظام القائم في هذا الكون على أساس التوحيد ، فلا يوجد شيء في هذا الوجود غير الحق سبحانه يستقل تكويناً في شأن من شؤونه أصلاً ، أي أن يملك من نفسه لنفسه شيئاً أبداً ، ذاتاً وصفةً وفعلاً ، إذ لا غير في البين من جهةٍ ، وغيره منه وبه وله وإليه ، واللبيب تكفيه الإشارة .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال سائلاً أحد أصحابه :

(أي شيء ألله أكبر ؟ فقلت : الله أكبر من كل شيء ، فقال : فكان ثَمَّ شيء فيكون أكبر منه ؟ فقلت فما هو ؟ فقال : الله أكبر من أن يوصف .)[٣]

---

١. الحكيم المتأله ، جامع المعقول والمنقول ، وأحد كبار العرفاء في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة .

٢. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ص٢٠٢ .

٣. بحار الأنوار : ج٩٠ ، ص٢١٨ .

يقول الشيخ النراقي قدس سره في كتاب "جامع السعادات" :

(إذ كل من عرف الحق (تعالى) رآه في كل شيء ، إذ كل شيء منه وبه وله وإليه ، ومن عرفه عرف أنّ كل شيء ما خلا الله باطل ، وأنّ كل شيء هالك إلّا وجهه .)[1]

أمّا بالنسبة إلى التشريع ، فقد بُني على أساس التوحيد أيضاً ، فكل ما شُرِّع إنّما شُرِّع على أساسه ، فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم المطلق ، وليس لغيره ذلك ، إلّا أن تكون حاكمية الغير بإذنه تعالى ، وفي طول ولايته وحاكميته لا في عرضها .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في دعاء له :

(وَأَسْأَلُكَ بِتَوْحِيدِكَ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ ، وَأَخَذْتَ بِهِ الْمَوَاثِيقَ ، وَأَرْسَلْتَ بِهِ الرُّسُلَ ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ ، وَجَعَلْتَهُ أَوَّلَ فُرُوضِكَ وَنِهَايَةَ طَاعَتِكَ ، فَلَمْ تَقْبَلْ حَسَنَةً إِلاَّ مَعَهُ ، وَلَمْ تَغْفِرْ سَيِّئَةً إِلاَّ بَعْدَهُ .)[2]

ويقول السيد حيدر الآملي قدس سره في كتاب "جامع الأسرار" :

(إنّ الوجود كلّه واقع على التوحيد ، مشتمل على مراتبه ، وأنّ جميع الموجودات مجبولة عليه ، مخلوقة لأجله ، وأنّ

---

١. جامع السعادات : ج٣ ، ص٢٩٨ .

٢. بحار الأنوار : ج٩١ ، ص٢٧٥ .

جميع الأنبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ ما بُعثوا إلّا لإظهاره ودعوة الخلق إليه ، وأنّ مدار جميع الكمالات ، وأساس جميع المقامات ـ ظاهراً وباطناً ـ منوطة به وبمراتبه ، وأنّ علمه خلاصة العلوم كلّها من الرسمية والحقيقية ، وأنه أصل الدين والإسلام ، وسبب الجنة والنار .)[١]

---

١ . جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص٤٩ .

٦- الانتقام من الظالمين

إنّ الإمام المهدي عليه السلام بالإضافة إلى كونه مظهراً للرحمة الإلهية ، فهو المظهر لباقي الصفات والأسماء الإلهية الأخرى أيضاً ، والتي من بينها اسم المنتقم ، فهو الذي يأخذ بثأر من سبقه من الأنبياء والأوصياء والأولياء ، وينتقم لهم من الظالمين بعد إتمام الحجة عليهم ، وبعد امتياز الأخيار عن الأشرار .

قالى تعالى :

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]

يقول الشيخ علي بن إبراهيم القمّي رحمه الله في كتاب "تفسير القمّي" في تفسير الآية :

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا ...﴾ : {**يعني هؤلاء الذين كانوا بمكة من المؤمنين والمؤمنات ، يعني لو زالو عنهم** (عن الكافرين) **وخرجوا من بينهم ،** ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ }[2]

---

١. الفتح ، ٢٥ .

٢. تفسير القمّي : ج٢ ، ص٣١٦ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قيل له : ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأول ؟ قال عليه السلام :

{لآية في كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، قال قلت : وما يعني بتزايلهم ؟ قال عليه السلام : ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين ، فكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عزّ وجلّ ، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ جلاله فقتلهم .}[١]

فلا انتقام ولا عذاب ـ وبحسب السنن الإلهية ـ إلّا بعد إتمام الحجة وذاك الامتياز ، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتكلّم عن الانتقام ونزول العذاب ، ولكن بعد نجاة الأنبياء وأصحابهم وابتعادهم عن الظالمين ، كما في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[٢]، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٩٧ .

٢. الأنبياء ، ٩ .

٣. يونس ، ١٠٣ .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال :

(فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم عليه السلام ويسير (يصير) سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجةً .)[1]

وإنّ الانتقام من الظالمين إذا كان بذلك المستوى الواسع ، بحيث يطال كل المعمورة ، فإنّه يستلزم وبدون شك إراقة دماء كثيرة ، فمسألة تطهير الأرض من الظالمين ، وإقامة القسط والعدل فيها ليست بالمسألة السهلة أو البسيطة ، ولا يتم إنجازها من طريق الأمر المعجز ، بل لا تأتي إلّا بعد عناء كبير وجهاد مرير .

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قيل له : إنّهم يقولون أنّ المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً ولا يهريق محجمة دم ، فقال عليه السلام :

(كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لأحدٍ عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أُدميت رباعيته وشُجّ في وجهه ، كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق ، ثمّ مسح جبهته .)[2]

---

١. بحار الأنوار : ج٥٧ ، ص٢١٣ .

٢. المصدر : ج٥٢ ، ص٣٥٨ .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنه قال :

(والقائم عليه السلام يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً ، بذلك أُمِر في الكتاب الذي معه ، أن يسير بالقتل ، ويلٌ لمن ناواه.)[1]

وكما مرّ في رواية الإمام الصادق عليه السلام التي جاء فيها :

(ما تستعجلون بخروج القائم ، فوالله ما لباسه إلا الغليظ ، وما طعامه إلا الشعير الجشب وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف .)[2]

هذا بالإضافة إلى أنّ مفهوم الظالمين لا ينحصر بأئمة الكفر والضلال وطواغيت الأرض ، بل يتجاوزهم ليعم الكثير من أذنابهم وأتباعهم ، وكذلك يعم الظالمين من عموم المسلمين وغير المسلمين ، أو من يدّعي التشيّع من الذين خلّفهم التمحيص وأخرجهم الغربال ، حتى صاروا في صف أعداء الله في مواجهة الحق ومن يمثّله في زمانهم .

وهذا ما يثير حفيظة بعض أصحاب النفوس الضعيفة ، ويؤدي إلى اعتراضهم وتولّد الشكوك في قلوبهم ممّا يرون من كثرة القتل ، وقد

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣٥٣ .

٢. الغيبة للشيخ الطوسي : ص٤٦٠ .

جاء في بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى هذه الأمور ، خصوصاً عندما يضع الإمام عليه السلام سيفه في المسلمين ، أو في من يدّعي التشيع منهم ، وكما حصل ذلك في زمان أمير المؤمنين عليه السلام حيث اعترض عليه البعض لكثرة من قُتِل من الناكثين والقاسطين والمارقين .

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

(لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحبّ أكثرهم ألّا يروه مما يقتل من الناس... ، حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم .)[1]

إنّ كثرة القتل لا تخدش في مروءة الإمام عليه السلام ، ولا تقلّل من شأنه ، فهو مظهر إرادة الله سبحانه وتعالى ، ومظهر مشيته ، ولا يقتل إلّا من يستحق القتل بالفعل ، والكثرة إنّما جاءت من كثرة المخالفين والمناوئين ، قال تعالى :

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[2] ، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[3] ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٣٣ .

٢. الأعراف ، ١٠٢ .

٣. المؤمنون ، ٧٠ .

لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُـرْآنِ مِـن كُـلِّ مَثَلٍ فَـأَبَى أَكْثَـرُ النَّـاسِ إِلاَّ كُفُـورًا﴾ [١] ، ﴿وَمَـا أَكْثَـرُ النَّـاسِ وَلَـوْ حَرَصْـتَ بِمُـؤْمِنِينَ﴾ [٢] ، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [٣]

وغيرهـا الكثـير مـن الآيـات الكريمـة الأخـرى الـتي تشـير إلى هـذه الحقيقة ، وكـذلك مـا يؤيّدها مـن الآيات التي تنسـب القلّة في المقابل إلى المؤمنين والشاكرين ، قال تعالى :

﴿إِلَّا الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَقَلِيـلٌ مَّـا هُـمْ﴾ [٤] ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [٥]

---

١. الإسراء ، ٨٩ .

٢. يوسف ، ١٠٣ .

٣. الأعراف ، ١٧٩ .

٤. ص ، ٢٤ .

٥. سبأ ، ١٣ .

٧- لا يستتيب أحداً

ومن الموارد الأخرى التي يمكن لها أن تكون سبباً من أسباب الانحراف ـ وكما ورد في بعض الروايات ـ هو أنّ أحد مصاديق اليوم الذي يغلق فيه باب التوبة هو يوم الظهور .

روي عن الإمام الحجة عليه السلام أنه قال في رسالته للشيخ المفيد قدس سره :

(فليعمل كل امرءٍ منكم بما يقرب به من محبتنا ، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا . فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة .)[1]

وقد ورد في زيارة الإمام المهدي عليه السلام المعروفة بزيارة آل ياسين هذه الفقرة :

(وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ ، أَنْتُمُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا ، يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرَاً .)[2]

---

١. المزار للشيخ المفيد : ص٩ .

٢. بحار الأنوار : ج٩١ ، ص٣ .

يقول الشيخ الصدوق ﵀ في كتاب "إكمال الدين" :

(ثم كذلك لن ينفع إيمان من آمن بالمهدي القائم ﵇ حتى يكون عارفاً بشأنه في حال غيبته .)[١]

وروي عن الإمام الصادق ﵇ أنّه قال في قول الله عزّ وجلّ :

{ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٢] : **يعني خروج القائم المنتظر مِنّا .**}[٣]

وعنه أيضاً ﵇ أنّه قال في قوله تعالى :

{ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[٤] : **(يوم الفتح ، يوم تفتح الدّنيا على القائم لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً ، فذلك الذي ينفعه إيمانه ، ويعظّم عند الله قدره وشأنه .)**[٥]

---

١. إكمال الدين وتمام النعمة : ص١٩ .

٢. الأنعام ، ١٥٨ .

٣. إكمال الدين وتمام النعمة : ص٣٥٧ .

٤. السجدة ، ٢٩ .

٥. تأويل الآيات : ج٢ ، ص٤٤٥ .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

(يقوم بأمر جديد ، وسنّة جديدة ، وقضاء جديد على العرب شديد ، ليس شأنه إلّا القتل ، ولا يستتيب أحداً ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .)[1]

فهل يشمل إغلاق باب التوبة هذا جميع المذنبين من الناس ، أم أنّه يختص بشريحة معينة منهم ؟ فقد ورد من الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ما يُشير إلى دخول الكثير من النصارى إلى الإسلام بعد ظهور الإمام ونزول المسيح عليهما السلام ، ودخول غيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى أيضاً .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(إذا خرج القائم (عليه السلام) خرج من هذا الأمر من كان يرى أنّه من أهله ، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر .)[2]

وهل أنّ عدم قبول التوبة هذا يشمل كل الذنوب ، أم أنّها تختص بذنوب معينة لها مساس بأساس الدين ، والتي تُعدّ من أهم التكاليف الملقات على عاتق الأمّة ، كما مرّ في موضوع الامتحان والانتظار ،

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٣٥ .

٢. المصدر : ص٣١٧ .

والـتي يـؤدي تركهـا والتخلّـف عنهـا إلى الارتـداد المـذكور في الأخبـار الشريفة ، والخروج من ولاية أهل البيت عليهم السلام ؟

إنّ الظاهر مما تقدّم من الأحاديث الشريفة المذكورة في هذا الباب أنّ المخصوص بهذا الأمر ، هو الذي يدّعي التشيع ، ويدّعي الإيمان بهذا الأمر ، ممن تمت عليه الحجة ، والذي تقدّم الكلام فيه مفصّلاً في هذه الرسالة ، ذاك الذي خلّفه التمحيص ، وأخرجه الغربال ولـم يفِ بالعهد المأخوذ عليه ، ذلك العهد الذي جاء في رسالة الإمام عليه السلام الأخرى للشيخ المفيد قدس سره والتي جاء فيها :

(ولـو أنّ أشـياعنا وفّقهـم الله لطاعتـه علـى اجتمـاع مـن القلـوب فـي الوفـاء بالعهـد علـيهم لمـا تـأخر عـنهم الـيمن بلقائنا ، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا .)[1]

١. المزار للشيخ المفيد : ص١١ .

٨- علامات الظهور

إنّ من موارد الابتلاء الأخرى التي سوف يُبتلى بها البعض عند ظهور الإمام عليه السلام ، والتي تكون سبباً لإدخال الشكوك في قلوبهم ، هي ما يتعلق بعلامات الظهور ، وخصوصاً العلامات الحتميّة منها ، ولأسباب مختلفة ومتعددة .

منها : إنّ العلامات الحتميّة بحسب ما يظهر من روايات أهل البيت عليهم السلام إنّما هي حتمية في أصل الحدث وأصل العلامة لا في تفاصيلها ، فإذا اختلفت التفاصيل عمّا ورد في الروايات ، كالمدّة التي تفصل الحدث عن الظهور مثلاً ، أو غيرها من الأمور الجزئية الأخرى، يقع الشك في قلوب البعض ممن فهم من حتمية الحدث حتميته بكل تفاصيله وجزئياته .

ومنها : وجود الاختلاف في الروايات الواردة في تفاصيل العلامة الواحدة ، كالصيحة مثلاً ، فقد اختلفت الأخبار في نص هذا النداء السماوي ، أو في كيفيته ، أو الوقت المعيّن له ، وما إلى ذلك .

ومنها : وجود احتمال عدم تحقق بعض تلك العلامات الحتمية ، وذلك لحصول البداء لله فيها .

فقد ورد في الخبر المروي عن الإمام الجواد عليه السلام عندما سُئل عن المحتوم ، حيث قال له السائل :

{(كنّا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا (عليهما السلام) ، فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أنّ أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر (عليه السلام) : هل يبدو لله في المحتوم ؟ قال : (نعم) ، قلنا له : فنخاف أن يبدو لله في القائم ، فقال : (إنّ القائم من الميعاد ، والله لا يخلف الميعاد .)[1]

ومنها : وجود الاختلاف في عدد العلامات الحتمية ، فمنها ما يعدّها خمسة علامات ، وهي الأكثر وروداً ، ومنها ما يعدّها سبعة علامات ، ومنها ما يعدّها أكثر من ذلك .

ومنها : اعتقاد البعض بأن سبيل النجاة ، والوسيلة التي يمكن لهم من خلالها الوصول إلى نصرة الإمام المهدي عليه السلام تتمثل في متابعة العلامات ومعرفتها ومحاولة مطابقتها مع واقعهم لمعرفة وقت ظهوره عليه السلام ولو بالأجمال ، حيث يتصور الكثير منهم بأنّ تحديد ذلك من

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٣٠٣ .

خلال العلامات يعدّ أفضل وسيلة للوصول إلى معرفة الإمام عليه السلام ونصرته واتّباعه .

وقد مرّ الكلام في هذه المسألة[١]، وتبيّن من خلاله أنّ طريق معرفة العلامات ليس بالطريق الذي يوصل بالإنسان إلى هذا الأمر المهم ، ولا يمكنه من خلال معرفتها كذلك اجتياز مراحل الامتحان والتمحيص ، أو العبور من مهاوي الفتن والابتلاءات ، أو يمكنه من خلالها من تحصيل البصيرة ، أو معرفة التكليف المتعيّن في هذه الفترة.

ومنها : اهتمام البعض بالعلامات الموقوفة وغير الحتمية أيضاً اهتماماً أكبر مما تستحق ، والغور في جزئياتها وتفاصيلها ، ومحاولة تطبيقها على واقعهم بشتى الطرق ، مما يدخلهم في نوع من التيه والحيرة إذا ما دارت الأحداث وتحقق الوعد الإلهي على غير الصورة التي رسموها لأنفسهم ، وتوقعوها في حساباتهم .

---

١. راجع ص٣٢ .

غيرها من الأسباب

هنالك موارد أخرى كثيرة من الأحداث التي يمكن لها أن تكون سبباً من أسباب الانحراف عن جادة الحق ، والانجراف نحو الباطل .

منها : ما ورد من أنّ الإمام المهدي عليه السلام يحكم بحكم داود عليه السلام ، أي لا يحتاج إلى بيّنة ، بل يحكم بعلمه ، فهو العالم بالبواطن وما تخفي السرائر ، وهذا ما يثير الشكوك عند البعض ، خصوصاً إذا أمر عليه السلام بإقامة الحد على أشخاص ظاهرهم الصلاح .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(لن تذهب الدنيا حتى يخرج رجل منّا أهل البيت يحكم بحكم داود وآل داود لا يسأل الناس عن بيّنة .)[1]

وعنه عليه السلام أيضاً :

{إذا قام قائم آل محمد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بيّنة ، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ، ويخبر كل قوم ما استبطنوه ، ويعرف وليه

---

١. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣١٩ .

من عدوه بالتوسم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾[1] }[2]

ومنها : ما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أيضاً ، من تغييره عليه السلام لبعض معالم المساجد المعروفة ، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الكوفة ، وإعادتها إلى ما كانت عليه ، وإزالة الأمور المبتدعة فيها ، أو هدمه لبعض مآذن المساجد ، وما إلى ذلك .

فقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال :

{(إذا قام القائم يهدم المنار (المنائر) والمقاصير التي في المساجد .) فقلت في نفسي لأي شيء هذا ؟ فأقبل عليّ فقال : (معنى هذا أنها محدثة مبتدعة .)}[3]

ومنها : ما روي في أمر خروجه عليه السلام بالناس إلى الصحراء وطلبه منهم أن لا يحملوا معهم شيئاً من الماء والكلأ .

ومنها : قضية إخراجه للجبت والطاغوت وصلبهما ، وما يحدث أثناء ذلك من أمور مثيرة للشكوك ، وغير ذلك من الأمور الأخرى .

---

١. الحِجر ، ٧٥ , ٧٦ .

٢. الإرشاد للشيخ المفيد : ج٢ ، ص٣٨٦ .

٣. الغيبة للشيخ الطوسي : ٢٠٦ .

الأسباب الحقيقية للانحراف

إنّ أسباب الفشل التي تقدّم ذكرها ، وكذلك أمثالها من الأسباب الأخرى ، تُعدّ من الأسباب الظاهرية للإنحراف ، يعني أنّ الكثير من الناس سوف تنتابهم الشكوك نتيجة وقوع هذه الأحداث في الخارج ، فتكون سبباً لانحرافهم وخروجهم عن جادة الحق .

إلّا أنّ الأسباب الحقيقية للانحراف والتي تعتبر المنشأ لتولد هذه الشكوك بعد وقوع تلك الأحداث ، هي في الواقع أسباب داخلية تنشأ من باطن الإنسان لا من خارجه .

والأسباب في ذلك متعددة ، لكنها تتمحور في مسألة أساسيّة ورئيسية واحدة لها ارتباط بسلامة القلب وسلامة الفطرة الإنسانية من الأدران والأمراض والحجب ، وكذلك بسلامة تلك القلوب من الرين والطبع والأقفال والأختام ، والتي تشكّل بدورها مانعاً يقف أمام تقبّل الإنسان للحقائق وفهمها بصورة صحيحة ، والتي يتبيّن من خلالها أيضاً تفاوت الناس في مستوى تقبّلهم للحق ومنابذتهم للباطل .

وذلك لأنّ الحق مبين ، والحجة بالغة ، ولأنّ الأرض لا تخلو من وجود من يمثّل السماء ، حاضراً كان أو غائباً ، بالأصالة كان أم بالنيابة ، والحق لابدّ من وضوحه معه .

إنّ أسباب الهداية ، وعوامل الانحراف في الواقع لا تتغيّر بتغيّر ظروف الزمان والمكان ، بل هي من السنن الثابتة والمشتركة بين أفراد البشر على مرّ العصور ، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم بشكل واضح ، فعندما يذكر بعض أسباب الهداية والانحراف ، فإنّه لم يحصرها بأمّة معيّنة، ولا بظرف خاص، ومن هنا تأتي إمكانية أخذ الدروس والعِبر .

فالإنسان وبما فيه من الصفات والملكات ، وبما اكتسبه من الأفعال والمعتقدات ، فإنّها بمجموعها تعطي ثمرة وحصيلة تتحدّد من خلالها مرتبة ذلك الإنسان من حيث الإيمان أو الكفر أو الشرك أو النفاق ، وما فيها وما بينها من الدرجات والمراتب التي يصعب تمييزها وتحديدها فضلاً عن إحصائها .

فالحال الذي يكون عليه الإنسان اليوم ، هو في الواقع حصيلة صفاته وملكاته ومعتقداته وأفعاله ، فمن دون فرض التغيير أو الإصلاح ، فإنّ مثل هذا الإنسان يعطي نفس الثمرة ونفس النتيجة أينما وضعته في مقاطع التاريخ الماضية أو المستقبلية ، وإن ادّعى اليوم خلاف ذلك .

فالذي لم يصل إلى معرفة الحجة في زمانه ، فذلك لعلّةٍ فيه لا في غيره ، فلا يتوقع الإنسان أن يصل إلى معرفة الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام ، والإيمان به بعد ظهوره ، وكان قبل ذلك مخالفاً أو مكذّباً لنائبه الذي يحتج به الإمام عليه ، وذلك لأنّ أسباب المخالفة والتكذيب لا تزال فيه قائمة ، إلّا أن يغيّر أو يصلح .

فالنتيجة التي يمكن استخلاصها من البحث ، هي أنّ عدم وصول الإنسان إلى الحق ، وإلى حجة الوقت ، يرجع في الواقع إلى الشخص نفسه ، ومهما اشتدّ الابتلاء ، أو عظمت المؤثرات الخارجية ، والتي يرجع السبب في شدّتها أيضاً ـ وبحسب السنن الإلهية ـ إلى ما اكتسبه الإنسان واكتسبته الأمّة من الأعمال والممارسات .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في آيات متعددة بيّن من خلالها أنّ سبب الابتلاء ، وسبب شدّته كذلك يرجع إلى أعمال العباد ، والعكس صحيح فيما يتعلّق بنزول البركات والرحمات .

قال تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]

---

١. الأعراف ، ٩٦ .

وقال تعالى أيضاً :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١]

ومن الواضح أنّ منشأ الإيمان والتقوى ، وكذلك التكذيب والإنكار ، هو قلب الإنسان ، لا الأسباب الظاهرية ، والله الهادي .

---

١. الروم ، ٤١ .

التمهيد للظهور

لقد مرّ في الأبواب السابقة بيان السبب الذي أدّى إلى غيبة الإمام عليه السلام وتأخر ظهوره ، وكان متمثلاً بعدم توافر العدد الكافي له من الأنصار الممتحنين والممحصين ، لأنّه وكما تبيّن ، أنّ كمال الشريعة ، وعصمة الإمام ، وكذلك أمر الله ورسوله بتولي الأئمة عليهم السلام زمام الأمور بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم يبق معها أي شك في أنّ السبب في عدم تحقق ذلك عائد إلى تخلّف الأمّة عنهم عليهم السلام ، فسبب الغيبة وطول أمدها يرجعان إلى هذا الأمر أيضاً .

إنّ السلطة العباسية الحاكمة في فترة ولاية الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت قد وضعت بيته تحت المراقبة الشديدة ، لئلّا يولد له ولده المهدي عليه السلام ، الذي كانوا يعلمون بأنّه الإمام الثاني عشر الذي أخبر به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبشّر به ، وأنّه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وهو الذي يهدّد عروشهم ، وعروش الظالمين من أمثالهم بالزوال .

فكانوا يتربصون له لينالوا منه قبل أن ينال منهم ، فلو لم يغب عليه السلام لقُتل كما قُتل آباؤه الطاهرون عليهم السلام ، وكيف يُقتل وهو آخر العترة الطاهرة ، والمدّخر لإنجاز الوعد الإلهي الذي وعد الله سبحانه وتعالى به المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض ويمكّن لهم فيها ، والمدّخر لإظهار الدين على الدين كلّه ؟

قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[1]

فهو عليه السلام في انتظار اكتمال العدد الكافي له من الأنصار كمّاً وكيفاً ، وبالفعل لا بالادّعاء ، لكي يخرج بإذن الله . وهنا يتّضح دور الممهّدين لظهوره عليه السلام ، وما ينبغي عليهم القيام به في هذا المجال ، لأنّ وظيفة الممهِّد هي تهيئة الأرضية ، وإزالة العقبات ، وفتح الطريق أمام المُمهَّد له .

فإذا كانت العقبة التي حالت بينه وبين الظهور ، والعائق الذي منعه منه ، هو قلّة الأنصار الحقيقيين ، فعلى الممهّدين والموطئين له عليه السلام ولدولته الكريمة إزالة هذه العقبة ، وإزالة هذا العائق من خلال تهيئتهم وتوفيرهم له عليه السلام .

---

١. التوبة ، ٣٣ .

إنّ التمهيد لا يقتصر على نهوض أمّة من الأمم بهذا الأمر المهم ، بل يمكن لكل إنسان أن يكون له دور في هذا المجال ، وذلك من خلال إعداد نفسه ، وقيامه بأداء تكليفه الملقى على عاتقه بالشكل الصحيح والمطلوب ، وذلك من خلال طاعة من تجب عليه طاعته ، والاستعداد للذب عن دينه ومقدساته ، فيكون بذلك قد أزال مانعاً من موانع ظهور الإمام عليه السلام ، ولو بقدره وحسبه ، ويكون بذلك قد أدرك الفرج أيضاً ، وإن لم يظهر الإمام عليه السلام .

وما يدريك ، لعلّ الأمر يحتاج إلى شخص واحد فقط ليكتمل النصاب ، فلو كان لكل فرد من أفراد هذه الأمّة مثل هذا الشعور تجاه هذه القضية المصيرية ، لتهيأت الأرضية لظهوره عليه السلام ، ولكان لكل واحد منهم سهماً في تحقق ذلك الحدث العظيم .

قد يسعى الإنسان المؤمن خلال وجوده في هذه الحياة الدنيا أن يهيئ لنفسه صدقة جارية تنفعه في الدنيا والآخرة ، وذلك من خلال تربية ولد صالح يدعو له ، أو من خلال إنشاء مسجد أو مدرسة أو مستشفى خيري ، أو أن يسنّ سنّة حسنة يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، أو من خلال هداية شخص ، أو تأليف كتاب ينتفع به الناس ، وما إلى ذلك من الأعمال التي يصدق عليها عنوان الصدقة الجارية ، والتي يُكتب ثوابها في صحيفة أعمال الإنسان ما دامت قائمة ويُنتفع بها من قبل الآخرين .

فانظر إلى الشخص الذي يساهم في تحقق مثل هذا الأمر العظيم، وذلك الوعد الإلهي الكبير ، ماذا سوف يُكتب في صحيفة أعماله ؟ وقد كان له دور في ظهور إمام زمانه عليه السلام بعد تلك الغيبة الطويلة ، وكان له سهم في امتلاء الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، حيث يعم السلام والإسلام ، وتعم البركة مشارق الأرض ومغاربها، وتنتفع بذلك جميع الموجودات بلا استثناء ، ويدخلون الناس في دين الله أفواجاً .

هذا فضلاً عن إدخال السرور على قلب النبي الخاتم صلى الله عليه وآله ، وعلى قلوب أهل بيته الطاهرين خصوصاً قلب خاتمهم وقائمهم عليه وعليهم آلاف التحية والثناء ، بل على قلوب جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والمؤمنين والمؤمنات من الأولين والآخرين . فهل توجد صدقة جارية أعظم بركة وأكثر مزيداً من هذه الصدقة ؟

دور حاكمية الدين في عملية التمهيد

إنّ من أفضل ما يمكن أن يُمهّد به لظهور الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام ، هو تهيئة الظروف لإقامة حكم الله في الارض ، لأن تهيئة الظروف هذه لإقامة الحكومة الإسلامية في بلاد المسلمين ، تعني بلوغ الأمّة في تلك البلاد ، أو لا أقل بلوغ العدد الكافي منها الوعي اللازم والكافي ، والتشخيص الصحيح ، والبصيرة النافذة ، وبلوغها كذلك مرحلة التطبيق والعمل بما يقتضيه ذلك التشخيص .

وهذا لا يتم إلّا من خلال التفاف الأمّة حول من ينوب عن الإمام صاحب الأمر عليه السلام في فترة الغيبة الكبرى ، والمتعيّن في الفقيه الجامع لشرائط القيادة والزعامة الدينية ، والمتصدي للأمور العامّة في المجتمع ، وإعانته على إنجاز هذه المهمّة الخطيرة .

فكلما ازداد هذا الشعور ، وهذا الاستعداد في الأمّة الإسلامية ، فإنّ الأرضية لتحقق الوعد الإلهي تكون متهيئة بشكل أفضل وأسرع ، لأنّ الأمّة في مثل هذا الحال تكون قد وصلت إلى مرحلة من الشعور بالمسؤولية تجاه الدين ما جعلها تستعد لإقامة هذا الأمر المهم في غيبة الإمام عليه السلام مع نائبه ، فكيف بها لو كان ذلك في ركاب الإمام عليه السلام

وتحت رايته مباشرةً ؟ من الواضح ، أن تكون مع إمامها عليه السلام أكثر اندفاعاً للقيام بمثل هذه التكاليف .

وهذا في الواقع ما يحتاجه الإمام المهدي أرواحنا فداه من شيعته للقيام بمهمته ، وما ينتظره منهم ليخرج بإذن الله ، بأن يكونوا بهذا المستوى من الشعور بالمسؤولية تجاه الدين ، وبهذا المستوى من الاستعداد للتضحية في سبيله ، ومن الالتزام بالوفاء بالعهد عليهم، ذلك العهد الذي ذكره عليه السلام في رسالته إلى الشيخ المفيد قدس سره ، والذي جاء فيه :

(ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا ، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم .)[1]

وإنّ العيش في ظل حاكمية الدين يكون سبباً كذلك في الإسراع في رشد الأمّة وبلوغها المستوى المطلوب كماً وكيفاً ، وذلك لأنّ القوانين الإلهية لها مثل هذه الخصوصية فيما إذا تم تطبيقها بالشكل الصحيح والمطلوب ، وذلك لوجود نوع من الدفع من قِبل أجهزة

---

١. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص١٧٧ .

الدولة الإسلامية ، تدفع بالأمّة نحو الصراط القويم ، ونحو الصلاح والإصلاح ، لأنّ في تطبيق الأحكام الإسلامية والقوانين الإلهية خير الأمّة وصلاحها في الدنيا والآخرة .

إنّ هذا التغيير الحاصل في الوضع الحاكم في الأمّة ، والناتج بحسب السنن الإلهية عن التغيير الحاصل في نفوس الناس ، يكون سبباً لنزول النِعم والبركات الإلهية ، والمتمثلة ببركات السماء والأرض، أي النعم المعنوية والمادية .

قال تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[1]

وقال أيضاً :

﴿لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[2]

وقال كذلك :

﴿إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3]

---

١. الأعراف ، ٩٦ .

٢. المائدة ، ٦٦ .

٣. الرعد ، ١١ .

إنّ هذا التغيير الحاصل في الأمّة ، وهذه البركات السماوية النازلة عليها ، وكذلك الدفع المنظّم الواقع داخل النظام الإسلامي نحو الصلاح ، كل ذلك يكون سبباً لنشوء طبقة متميزة من حيث الإيمان والعمل الصالح داخل هذا الوسط الديني والمجتمع الإسلامي .

ويمكن توضيح ذلك من خلال مثال يقرّب الصورة إلى الأذهان ، فلو أعطي مجموعة من الشباب يقارب عددهم العدد المتعارف لطلاب المدرسة الواحدة مجموعة من الكتب الدرسية ، وطُلب منهم أن يأتوا في آخر السنة الدراسية للامتحان بمادّة تلك الكتب .

فكم من هؤلاء الشباب سوف يوفق للامتحان في آخر السنة ؟ وكم من أولئك الممتحنين سوف يحصل على درجة النجاح ؟ وكم من الناجحين سيحصل على الدرجة الممتازة والمتفوقة ؟

مما لا شك فيه أنّ عدد الذين سوف يوفّقون للدراسة والمتابعة خلال تلك السنة ، ويوفقون بعد ذلك لأداء الامتحان سيكون قليلاً جداً بالنسبة إلى العدد الكلي ، هذا فضلاً عن عدد الناجحين منهم أو المتفوقين .

أمّا لو جُمِع هؤلاء الشباب في مدرسة ، لوجدت أنّ النتائج التي سوف تحصل عليها ستكون مختلفة تماماً عن تلك النتائج الاولى ،

وخصوصاً بالنسبة إلى عدد الناجحين والمتفوقين منهم ، والسبب في ذلك يعود الى وجود النظام في المدرسة ، من حيث المتابعة والمراقبة والمحاسبة ، والمواظبة على الحضور ، والتعليم الممنهج والمبرمج ، والامتحانات المستمرة والمختلفة ، فكل ذلك يدفع بالطلاب نحو الانضباط والالتزام بقوانين المدرسة ، ويدفعهم نحو المثابرة والجديّة في تحصيل العلوم والمعارف .

ولو رجعنا إلى المَمَثَّل بعد هذا المثال ، نجد انطباقه عليه ، خصوصاً فيما يتعلق بتهيئة القادة ـ ٣١٣ ـ الممتازين والمتفوقين من داخل ذلك الوسط الديني ، وكذلك انطباقه عليه من جهة الفرق بين الأمّة التي تحكمها القوانين الوضعية ، إلى أين تُساق ، وإلى أين يراد بها ، وبين الأمّة التي تعيش في ظل النظام الإسلامي الذي تحكمه القوانين الإلهية .

إنّ الإنسان الذي يعيش في ظل الحكومات المختلفة ، خصوصاً الجائرة منها ، فإنه محكوم بقوانين تلك الحكومات شاء ذلك أم أبى ، فلا يستطيع أن يتخلّف عنها بسهولة ، وإنه بإطاعته لتلك القوانين الوضعيّة يكون مُنقاداً ومُسيّراً من قِبل تلك الحكومات إلى الجهة التي تريدها هي ، لا إلى الجهة التي يريدها هو ، وإن اعتقد خلاف ذلك ،

إلّا أن يخرج على تلك القوانين ، أو أن يهاجر في سبيل الله ، أو أن يكون من المستضعفين الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقّهم :

﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [١]

هذا في الوقت الذي لم يقبل الله سبحانه وتعالى فيه من الكثير من الناس ادّعاءهم الاستضعاف ، كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [٢]

هذا بالإضافة إلى أنّ في إطاعة الحاكم الجائر أيضاً إعانة على بقائه وإدامة حكمه واستمرار ظلمه ، وهذا ما لا يرضى به الشارع المقدس قطعاً .

قال تعالى :

---

١. النساء ، ٩٨ , ٩٩ .

٢. النساء ، ٩٧ .

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١]

والعكس صحيح بالنسبة إلى الحكومة الإسلامية ، فإنّ في إطاعة الحاكم العادل تعزيز لحكومته ، وإبقاء على حاكمية الإسلام ، وهذا يعني الوقوف إلى جانب الحق والدفاع عنه ، ويعدّ نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله أيضاً ، وكما مرّ في الحديث الشريف المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي جاء فيه :

(فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان ، إمام هدى أو مطيعٍ له مقتدٍ بهداه .)[٢]

ويكفي في بيان الفرق بين الإقامة تحت ظل الحكومتين العادلة والظالمة ، ما ورد في الحديث القدسي المروي عن الإمام الباقر عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن الله عزّ وجلّ ، أنه قال :

{وعزتي وجلالي لأعذبنّ كل رعيّة في الإسلام (أطاعت إماماً جائراً) دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عزّ وجلّ وإن كانت الرعية في أعمالها برّةً تقيّة ، ولأعفونّ عن كل رعيّة (أطاعت إماماً هادياً) دانت بولاية إمام عادل من الله

---

١. المائدة ، ٥٠ .

٢. بحار الأنوار : ج٩٧ ، ص٢٤ .

تعالى وإن كانت الرعيّة في أعمالها (ظالمة)[1] طالحة مسيئة.}[2]

وعندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن سبب ذلك حين قيل له : ما العلّة ؟ أن لا دين لهؤلاء ، ولا عتب لهؤلاء ، قال عليه السلام :

(لأنّ سيئات الإمام الجائر تغمز حسنات أوليائه ، وحسنات الإمام العادل تغمز سيئات أوليائه .)[3]

هذا بالإضافة إلى أنّ لحاكمية الدين ، وللدماء التي تُراق من أجل إقامتها ، وفي سبيل المحافظة عليها والدفاع عنها ، وكذلك لنوايا المؤمنين المطيعين فيها ، ونوايا المرابطين في ثغورها ، من الخصوصية والآثار التكوينية التي لها القابلية على التغيير السريع في ترسيخ دعائم الإسلام وزعزعة أركان الكفر في كل مكان ، وهذا يعني التمهيد لعملية الظهور على مستوى العالم بأسره .

وقد تبيّن من خلال البحث أنّ امتحان الأمّة لابدّ أن يكون منسجماً مع الهدف المنظور ، فإذا كان هدف الإمام أرواحنا فداه يتمثل بالقيام على الظالمين ، وأخذ زمام الأمور منهم ، ومن ثمّ إقامة

---

١. نسخة ثانية وبنفس الإسناد عن الإمام الباقر عليه السلام : بحار الأنوار: ج٢٥ ، ص١١٠ .

٢. بحار الأنوار : ج٢٧ ، ص٢٠١ .

٣. المصدر : ص ٢٠٢ .

حكم الله في الأرض ، فالمتوقع من الامتحان أن يكون في هذه الأمور قبل ظهوره عليه السلام أيضاً .

فالذي يمكن استنتاجه من هذه الأبحاث ، هو أنّ ظهور الإمام عليه السلام لا يتحقق إلّا بعد تحقق بعض الشرائط الأساسية والضرورية لقيامه أرواحنا فداه ، والتي منها بل أهمها توفير العدد الكافي من الأنصار الحقيقيين الممحصين له عليه السلام ، وذلك من خلال تهيئة الأرضية المناسبة لتربيتهم وتهيئتهم للقيام بتلك المهمّة الخطيرة ، والتي تحتاج إلى ازدياد وعي الأمّة وشعورها بالمسؤولية تجاه الدين وأحكامه الإلهية ، والسعي لتطبيقها على الأرض من خلال العمل على ترسيخ مسألة حاكمية الدين ، وهو المطلوب .

الغدير وحاكمية الدين

غالباً ما تنصرف الأذهان عندما يأتي يوم الغدير ويجري الكلام فيه عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وولايته إلى مسألة الإمامة والولاية الاعتقادية التي لاتتجاوز حدّ اللسان والقلب ، تلك الإمامة التي لابدّ من الإيمان بها واعتقادها باعتبارها واحدة من أهم أصول المذهب الذي ندين الله به ، ونفتخر بالانتماء إليه .

ولكن من دون الالتفات إلى الجانب العملي للقضية ، والمسمى بالولاية العملية ، والذي يعدّ من أهم الفروع ، بل من أهم الأركان التي بني عليها الإسلام ، والتي لولاها **(ما قام للدين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود)**[1] ، ولبقي الدين **(أسيراً في أيدي الأشرار)**[2] .

وهذا هو الذي حصل بالفعل نتيجة ترك الأمة لهذه الوظيفة الأساسية ، فأدّى إلى غصب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام وإبعادهم عن حقّهم الذي جعله الله لهم ، والذي أدّى أيضاً إلى غيبة إمامنا

---

١. بحار الأنوار : ج٣٠ ، ص٣٢٩ .

٢. المصدر : ج٣٣ ، ص٦٠٥ .

أرواحنا فداه ، وذلك لاكتفاء الأمّة بولايتهم وإمامتهم الاعتقادية القلبية ، تلك المنزلة الثابتة لهم أزلاً وأبداً ، والتي لا يأتي بها غدير ولا تسلبها سقيفة ، واستغنائها عن الولاية العملية .

تلك الولاية التي كان يحتاج إليها جميع الأنبياء والأوصياء من دون استثناء ، وهي التي يحتاج إليها الإمام المهدي عليه السلام أيضاً ليخرج بإذن الله . فلا يكفي التعلّق القلبي لوحده ، ولا تكفي الولاية أو البرائة الاعتقادية القلبية لوحدها لإيصال أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام إلى سدّة الحكم والإمساك بزمام الأمور .

فالغدير يحمل وجهين أساسيين لا يستقيم الأمر إلّا بهما ، الأول منهما يتعلق بدور القائد في قيادة الأمّة ، والثاني متعلق بدور الأمّة في الانصياع والطاعة ، فلولا وجود الحكومة والقيادة لما تمكّن الإمام والقائد من إقامة الدين ، وإجراء الأحكام ، وهداية الأمّة بالشكل المطلوب ، ولولا قبول الأمّة وطاعتها وانصياعها لهذه القيادة ، لما كان باستطاعة القائد أن يمسك بزمام الأمور .

وقد ورد في يوم الغدير استحباب تهنئة الأخوان بهذه الكلمات :

(الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .)[1]

---

١ . مفاتيح الجنان : ص٢٨٠ .

وورد كذلك استحباب القول :

(الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم وجعلنا من الموفين بعهده إلينا وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية ولاة أمره والقوّام بقسطه .)[1]

فمن هم الموفون بالعهد ؟ وما هذه الولاية التي ندّعيها لولاة الأمر والقوّام بالقسط ؟ وهل يمكن أن نطلق على الذين خذلوا أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم من الموفين بالعهد حتى لو كانوا يعتقدون أحقيته ويضمرون محبته ؟ أم نطلقها على أولئك الأربعة أو الخمسة الذين جاءوا محلقين رؤوسهم استعداداً للقيام معه حين استنهض الناس ودعاهم إلى نصرته ؟

وهذا يجري كذلك في باقي الأئمة عليهم السلام ، وفي نوابهم أيضاً أمثال مسلم بن عقيل عليه السلام ، فعلى الرغم من كثرة الذين كانوا يدّعون التشيّع والولاية ، ويظهرون المحبة والمودة ، لكنّ الأئمة عليهم السلام ونوابهم كانوا يفتقرون إلى الأنصار الحقيقيين من الموفين بعهد الغدير ، وقد صرّح الأئمة عليهم السلام بذلك مراراً ، وقد مرّت بعض أقوالهم في الأبواب السابقة ، فراجع[2] .

---

١. مفاتيح الجنان : ص٢٨٠ .

٢. راجع ص٣٩-٤١ .

فأدّى ذلك إلى إقصائهم عن حقهم ، ودفعهم عن مقامهم ، وإنزالهم عن مراتبهم التي رتّبها الله لهم ، وكل ذلك كان نتيجة ابتعاد الأمّة عمّا أراده الله ورسوله منها في يوم الغدير من الامتثال والطاعة ، والولاية والبراءة بنوعيها القلبي والعملي .

فمن الذي يحق له بعد الذي عرفت أن يدّعي التمسك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، أو يدّعي الوفاء بالعهد والميثاق ؟

أليس الذي يحق له ذلك ، هو ذاك الذي أطاعهم وتولاهم ونصرهم قولاً وفعلاً ، وقلباً وقالباً ؟ أولئك الذين ينتظر الإمام المهدي عليه السلام اكتمال عددهم ليخرق بهم حجاب الغيبة .

أليس هو القائل في رسالته إلى الشيخ المفيد رحمه الله فيما روي عنه :

(ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا ، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم .)[1]

فكيف يجتمع أشياعه على الوفاء بالعهد في زمان غيبته حتى تتعجّل لهم السعادة بمشاهدته واليُمن بلقائه ؟ ومن هم ولاة الأمر

---

١. بحار الأنوار : ج٥٣ ، ص١٧٧ .

والقوّام بالقسط في هذه الفترة الذين تجب على الأمّة طاعتهم وامتثال أوامرهم ونصرتهم ؟

يقول صاحب الجواهر قدس سره في كتاب جواهر الكلام :

(إطلاق أدلة حكومته (الفقيه) **خصوصاً رواية النصب التي وردت عن صاحب الأمر (** عليه السلام **) روحي له الفداء يصيّره من أولي الأمر الذين أوجب الله علينا طاعتهم ، نعم من المعلوم اختصاصه في كل ما له في الشرع مدخلية حكماً أو موضوعاً ، ودعوى اختصاص ولايته بالأحكام الشرعية يدفعها معلوميّة تولّيه كثيراً من الأمور التي لا ترجع إلى الأحكام .)**[1]

ويقول الشيخ الأنصاري قدس سره في كتاب "المكاسب" :

(الظاهر من هذا العنوان ﴿أولي الأمر﴾ **عرفاً : من يجب الرجوع إليه في الأمور العامة التي لم تُحمل في الشرع على شخص خاص .)**[2] وتُعرف بالأمور الحسبية .

ويقول أيضاً :

---

١. جواهر الكلام : ج١٥، ص٤٢٢ .

٢. المكاسب المحرّمة : ج٣ ، ص٥٤٩ .

{إلّا أنّ الظاهر حكومة هذا التوقيع عليها وكونها المفسّر الدال على وجوب الرجوع إلى الإمام أو نائبه في الأمور العامّة التي يُفهم عرفاً دخولها تحت (الحوادث الواقعة) وتحت عنوان الأمر في قوله ﴿أولي الأمر﴾ .}[١]

ويقول السيد الكلبايكاني[٢] في كتاب "الهداية" حول الآية المذكورة وطاعة أولي الأمر :

(يستفاد منه قطعاً ويتبادر إلى ذهن العرف جزماً أنّ ولي أمر الأمّة وإمامهم تجب إطاعته على الرعية وتحرم مخالفته على الأمّة في كل أمر ورأي وبعث ونهي مطلقاً ، ولا يرد مما تقدّم من دعوى انصراف الآية إلى وجوب الإطاعة في الأحكام الشرعية الدينية فقط ، لما عرفت أنّ المستفاد من الآية بعد التنظير بما تقدّم من الأمثلة ، ليس إلّا وجوب الإطاعة في كل شيء ، كما أنّ إطاعته تعالى فيه واجبة . ويدلّ على ما ذكرنا بعض النصوص الواردة في موارد خاصة كرواية عمر بن حنظلة ، ومشهورة أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام ففي الأولى بعد الأمر بالرجوع إلى الفقهاء قال عليه السلام : فإنّي قد جعلته قاضياً ، وفي الثانية :

---

١. المصدر السابق : ج٣ ، ص٥٥٧ .

٢. السيد محمد رضا الگلبايگاني : أحد كبار مراجع التقليد الماضين في قم المقدسة .

فإنّي جعلته عليكم حاكماً ، إذ يُعلم أنّ جعله شخصاً حاكماً ، وتعيينه مرجعاً مما يجب على الناس إطاعته فيه ، ولا يجوز ردّه ومخالفته ، ولذا أكّد بقوله : فهو حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم ، وبالجملة المستفاد من الروايتين أنّ جميع أوامر أولي الأمر واجب الإطاعة والامتثال .)[1]

ويقول أيضاً في كلمته "نعمة ولاية أهل البيت عليهم السلام" التي أُلقيت في مؤتمر الغدير في لندن ونشرها مكتب سماحته في قم المقدّسة :

(وكذلك تأكيد مذهبنا الشريف على أهمية وجود مراجع الدين نوّاب الولاية في عصر الغيبة لأنّه لا يمكن معرفة الدين ولا تطبيق أحكامه إلّا بالرجوع إليهم وبإشرافهم فهم الأمناء على الحلال والحرام ، وقد تجلت بقيادة الفقيه الراحل مؤسس الجمهورية الإسلامية قدّس سرّه قدرة ولايتهم المتفرعة من الولاية التي بلّغها النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير وورثها مولانا صاحب العصر أرواحنا فداه في عصرنا في إزالة نظام الشاه الأمريكي .)[2]

---

١. الهداية : ج١، ص٢٦.

٢. نعمة ولاية أهل البيت : ص١١ .

ويقول السيد مصطفى الخميني ﷺ في كتاب "ثلاث رسائل" :

{قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولمكان تصدّرها بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يكون الخطاب شاملاً للمؤمنين في عصر الغيبة ، ولأنّه - صلوات الله عليه - غائب لا يمكن إطاعته ، يتعيّن أن يكون مصداق أولي الأمر شخصاً آخر ، والقدر المتيقن منه هو الفقيه الجامع ، فإذا تصدّى الفقيه لأمرٍ لابدّ أن يكون نافذاً .)[1]

ويقول الشيخ جوادي الآملي حفظه الله في كتاب "ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام" :

(إذا كان حكم الولي الفقيه في بعض الموارد مقدّم على حليّة حلال أو حرمة حرام ، فإنّ ذلك ليس من باب تقييد أو تخصيص الحكم الإلهي... ، إلى أن قال : **بل هو بمصداق الآية الشريفة : ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2]، أي من باب حاكمية الله المبتنية على ضرورة طاعة أولي الأمر على بقية الأحكام الإلهية.)[3]**

---

١. ثلاث رسائل : رسالة ولاية الفقيه : ص٢٠ .

٢. النساء ، ٥٩ .

٣. ولايت فقيه ورهبري در اسلام : ص١٢٩ الكتاب باللغة الفارسية .

وجه الانتفاع بالإمام عليه السلام في غيبته

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سُئل عن وجه انتفاع الناس بالإمام المهدي عليه السلام في غيبته ، فقال :

(أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب .)[١]

إنّ تشبيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الإمام الحجة عليه السلام بالشمس له أوجه متعددة ، منها : محورية الشمس في منظومتنا الشمسية ودوران الكواكب حولها ، وكذلك محورية الإمام عليه السلام في هذا العالم ، فهو قطب عالم الإمكان ، وقلب هذا الوجود .

ومنها : أنّ بنور الشمس يهتدي المهتدون بطرق الأرض وبها يستضيئون ، وكذلك نور الإمام عليه السلام ، فهو الذي يهتدي به المهتدون بطرق السماء والأرض وبه يستضيئون ، وكما ورد في زيارته ليوم الجمعة التي جاء فيها :

---

١. كمال الدين وتمام النعمة : ص٢٥٣ .

(السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْمُهْتَدُونَ .)[١]

وجاء في زيارة رسول الله ﷺ كذلك ، وكلّهم نور واحد :

(السَّلامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللهِ الَّذِي يُسْتَضاءُ بِهِ .)[٢]

ومنها : أنّ للشمس دور أساسي في جريان الحياة في الارض ، فبدونها تنعدم الحياة فيها ، وكذلك الحجة عليه السلام ، فلولا وجوده الشريف على الأرض لساخت بأهلها وانعدمت فيها الحياة .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل :

{أتبقى الأرض بغير إمام ، قال : (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت .)}[٣]

ومنها : أنّ نور الشمس يبدأ بالظهور قبل طلوعها ، فعين الشمس لا تظهر هكذا فجأةً وسط الظلمة ، بل يتدرّج نورها في الظهور والازدياد شيئاً فشيئاً حتى تشرق ويظهر عينها في الأفق ، وفي ذلك نوع من التمهيد للعيون في استقبال النور ، وكذلك الإمام عليه السلام فإنّ نوره يشرع بالظهور ، ويبدأ بالانتشار والازدياد بالتدريج ايضاً قبل أن يظهر شخصه الكريم .

---

١. جمال الاسبوع : ص٤١ .

٢. بحار الأنوار : ج٩٧ ، ص١٨٣ .

٣. الكافي : ج١ ، ص١٧٩ .

وإنّ المقصود من ظهور نوره عليه السلام قبل ظهور شخصه ، هو ظهور هداه وهدى آبائه الطاهرين عليهم السلام ، وانتشار فكرهم ونهجهم ومذهبهم ، مع حصول تصاعد في الشعور بالحاجة إلى الرجوع إلى حاكمية الدين في الأوساط الإسلامية ، وذلك من خلال ازدياد الوعي الديني فيها .

وكذلك وصول المجتمع البشري بشكل عام ، والمجتمع الإسلامي بشكل خاص إلى القناعة الكافية بقدرة الدين الإسلامي على إدارة شؤون الحياة في المجتمع ، وبقدرته على الإمساك بزمام الأمور فيه بجدارة ، وذلك من خلال إراءة تجربة حية تُثبت للعالم بصورة عملية وجود هذه القدرة وهذه الجدارة ، لأنّ الجانب النظري وحده غير كافٍ لإيصال تلك القناعة إلى الناس ما لم يتوّج بالعمل والتطبيق .

وإنّ لوجود هذا النموذج الحي لحاكمية الدين أهمية خاصة وكبيرة في تمهيد الأذهان لتقبّل حاكمية الإمام عليه السلام بعد ظهوره ، خصوصاً بعد إفلاس الأطروحات الفكرية والسياسية التي تسلطت على المجتمعات الشرقية والغربية في هذا العالم .

دور أهل المشرق في التمهيد للظهور

لقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أخباراً متعددة تتحدث فيها عن دورٍ مهم لأهل المشرق في التمهيد وتهيئة الأرضية لظهور الإمام المهدي عليه السلام ، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

(يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي ، يعني سلطانه.)[١]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

(أتدري لِم سمّي قم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إنّما سمّي قم لأنّ أهله يجتمعون مع قائم آل محمد ـ صلوات الله عليه ـ ، ويقومون معه ، ويستقيمون عليه ، وينصرونه .)[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق ،

---

١. بحار الأنوار : ج٥١ ، ص٨٧ .

٢. المصدر : ج٥٧ ، ص٢١٦ .

وذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها .)[١]

وعنه عليه السلام كذلك أنه قال :

(ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجة ، فيفيض العلم منه إلى ساير البلاد في المشرق والمغرب ، فيتم حجه الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم عليه السلام ويسير (يصير) سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد ، لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجةً .)[٢]

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال :

(رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد ، لا تزلّهم الرياح العواصف ، ولا يملّون من

---

١. بحار الأنوار : ج٥٧ ، ص٢١٣ .

٢. المصدر .

الحـرب ، ولا يجبنـون ، وعلـى اللّـه يتوكلـون ، والعاقبـة للمتقين .)[١]

فالملاحظ في هذه الروايات الشريفة ، أنّ هناك دوراً مهماً لبلدة قم وأهلها قبل ظهور الإمام عليه السلام ، فقد جاءت في رواية الإمام الصادق عليه السلام هذه العبارة : **(بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق)** ، وجاءت في الأخرى : **(قم وأهله قائمين مقام الحجة)** ، وجاء كذلك في الروايتين : **(ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها)** ، أمّا بالنسبة إلى الوقت ، فجاء في الأولى ، أنّ وقت ذلك يكون : **(في زمن غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره)** ، وفي الأخرى : **(عند قرب ظهور قائمنا)** .

فالملاحظ أيضاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد ربط بين هذا الحدث وبين ظهور الإمام عليه السلام ، وبيّن كذلك أنّ إتمام الحجة على الخلائق يكون قبل ظهوره عليه السلام ، وعن طريق الحجة التي تقوم مقامه ، وأنّ الانتقام الألهي الذي يعمّ المنكرون لها إنما يجري على يد الإمام أرواحنا فداه ، لأنّ العقاب والانتقام لا يأتيان إلّا بعد إتمام الحجة .

وهذا يعني أنّ الحق قبل ظهور الإمام عليه السلام متمثل بأهل هذه البقعة الشرقية من الأرض ، لأنهم وكما جاء في الرواية قائمين مقام الحجة عليه السلام ، وفي ذلك دليل على وجود من له مثل هذه المكانة

---

١. المصدر : ج٥٧ ، ص٢١٦ .

والمنزلة ، منزلة النيابة العامّة للإمام عليه السلام فيها ، والمتمثل بالفقيه الجامع للشرائط ، وأنّ قيامه يبدأ من هذه المنطقة ، بحيث تكون زمام الأمور بيده ، وله من الأعوان والأنصار العدد الكافي الذي يُمكّنه من نشر الدين وإلقاء الحجة : (على جميع أهل المشرق والمغرب من الجن والإنس) ، وإتمامها عليهم كذلك ، (فيفيض العلم منه إلى ساير البلاد في المشرق والمغرب... حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم) ، و (حتى لا يبقى مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال) .

فالحجة تلقى وتتم حتى على النساء اللواتي لا يخرجن من بيوتهنّ ، وهذا يعني وجود الوسيلة التي يمكن من خلالها إيصال كلمة الحق إليهنّ من دون الحاجة إلى خروجهن من البيت ، وهذه الوسائل متوفرة في يومنا هذا بشكل واسع ، بحيث لا يكاد يخلو منها بيت من البيوت ، من قبيل أجهزة التقاط القنوات الفضائية ، وشبكات التواصل الاجتماعي ، وما إلى ذلك .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال :

(إذا رفعت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب ، قلت له مِمَّ ذلك قال : مِمّا يلقون من بني هاشم .)[1]

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٢٩٩.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال :

(إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق وأهل المغرب ، أتدري لم ذاك ؟ قلت لا ، قال : للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه .)[١]

وهذا يعني أنّ هناك دوراً مهماً ومؤثراً لأهل بيته عليه السلام من بني هاشم في العالم قبل الظهور يتعارض مع مصالح الدول الغربية والشرقية ، بالشكل الذي يجعلهم يصبّون فيه غضبهم على راية الحق التي يرفعها الإمام عليه السلام عند ظهورها مباشرة .

إنّ من الملاحظ اليوم وفي حاضرنا المعاصر ، ظهور هذا الدور المهم لمدينة قم المقدسة ، وكذلك لراية الحق التي ارتفعت منها بيد نواب الإمام المهدي عليه السلام من بني هاشم ، وعلى رأسهم الإمام الخميني قدس سره ، وخلفه سماحة السيد القائد الخامنئي دام ظلّه ، الذين استطاعا وبمعونة أهل المشرق أن ينهضوا بثورتهم العظيمة التي حطّمت عرش الطاغوت في إيران ، وكانت سبباً في دخول الملايين من اتباع الديانات والمذاهب الأخرى إلى المذهب الحق .

هذه النهضة التي أعادت الحق المضيّع والمغصوب إلى نصابه وإلى أهله في هذه البقعة المباركة من الأرض ، هذه النهضة التي أعادت

---

١. المصدر السابق .

للأمة كرامتها وعزّتها لما قدّمته من خدمات وتضحيات ، ودماء روّت بها شجرة الإسلام فرسّخت دعائمه ، وزعزعت أركان الكفر وهدّت قوائمه في كل مكان .

وها هي اليوم تؤتي أُكلها وثمارها ، حيث ارتفعت للحق رايات متعددة بأيدي بني هاشم وغير بني هاشم ، كلّها تستلهم من تلك النهضة المباركة ، حيث أعطت بعض هذه الرايات للاستكبار العالمي درساً مرّاً وبليغاً لن ينساه أبداً ، كراية حزب الله لبنان .

إنّ هذه الرايات في الواقع ، وكذلك الراية الأم التي رفعها الإمام الخميني قدس سره ، إنّما هي فروع ذلك الأصل ، وغصون تلك الشجرة النبوية ، فكيف بالاستكبار إذا ظهرت راية الإمام عليه السلام ؟

وقد شرع الاستكبار العالمي ومنذ زمن ليس بالقريب في وضع الخطط لمجابهتها ومواجهتها ، ومعرفة كيفية احتوائها والوقوف أمامها قبل أن تظهر ، لذا تجدهم يلعنونها ويصبّون عليها غضبهم بمجرد سماعهم بظهورها .

إنّ الذي قام به الإمام الخميني قدس سره ، هو تهيئة الأنصار الحقيقيين للحق ، المستعدين لبذل النفس والنفيس دفاعاً عن الدين ليس في الجمهورية الإسلامية فحسب ، بل في الكثير من البلدان الإسلامية الأخرى ، وهذا هو العامل الذي له الصدارة في رفع المانع الذي يقف أمام ظهور الإمام المهدي عليه السلام ، ويمهّد الأرضية لظهوره كما تقدّم .

قد يَعجب الإنسان المؤمن عندما يقرأ في كتب الغيبة أنّ الإمام عليه السلام عندما يظهر يطالب بدم جدّه الحسين عليه السلام ، فما هي علاقة قتَلَة الإمام الحسين عليه السلام بمعاصري زمن الظهور ؟

لكن عندما يطلع الإنسان اليوم على هذه الهجمة التكفيرية التي مهدت لها وساندتها وساعدتها أيادي الاستكبار العالمي والصهيونية العالمية ، بالإضافة إلى أيادي النفاق والضلالة في المنطقة ، ودعمتها بكل أشكال الدعم ، للوقوف أمام هذه النهضة الحسينية المتصاعدة والمتزايدة ، وأمام هذا الخط المقاوم في المنطقة ، يرتفع منه ذلك العَجب ، خصوصاً عندما يرى بأنّ أبرز الأسماء التي يُكنّون بها هؤلاء التكفيريين أنفسهم ، ويسمّون بها سراياهم ، هي أسماء أعداء أهل البيت عليهم السلام ، وخصوصاً أسماء قاتلي الإمام الحسين عليه السلام .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لمحمد بن الأرقط :

{تنزل الكوفة ؟ قلت : نعم ، قال : **فترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم ؟** قال : قلت : جُعلت فداك ما رأيت (بقي) منهم أحد ، قال : **فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا من قَتل ، أو من ولي القتل ، ألم تسمع إلى قول الله ﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ**

إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١] فأيّ رسول قبل (قتل) الذين كان محمد صلى الله عليه وآله بين أظهرهم ، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول ، إنما رضوا قتل أولئك فسمّوا قاتلين . } [٢]

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه سُئل عن الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام والذي قال فيه :

{إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها ، فقال عليه السلام : هو كذلك ، فقلت : وقول الله عزّ وجلّ ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [٣] ، ما معناه ؟ قال : صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أنّ رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب ، لكان الراضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل ، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم . } [٤]

---

١. آل عمران ، ١٨٣ .

٢. تفسير العياشي : ج١ ، ص٢٠٩ .

٣. الأنعام ، ١٦٤ .

٤. بحار الأنوار : ج٥٢ ، ص٣١٣ .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه النهضة الإسلامية المباركة والمعاصرة التي شعّ نورها ، وارتفعت رايتها ، وكثر أعداؤها ، هي المقدمة لظهور الإمام أرواحنا فداه وعجّل فرجه .

كما ملئت ظلماً وجوراً

قد يُشكِل البعض على ما تقدّم بيانه في الأبواب السابقة من مسألة تغيير النفوس الحاصل قبل ظهور الإمام عليه السلام ، واكتمال العدد الكافي له من الأنصار ، وازدياد الوعي الديني في الأمّة الإسلامية ، وكذلك ما يتعلق بمسألة حاكمية الدين ، وما إلى ذلك من الأمور ذات العلاقة ، كيف ينسجم مع ما ورد في الأحاديث المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام التي تتحدث فيه عن امتلاء الأرض ظلماً وجوراً ؟

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(هو المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .)[1]

فقد تقدّم في الأبحاث السابقة بيان ضرورة اكتمال العدد الكافي من الأنصار الذين يستطيع الإمام عليه السلام أن ينهض بهم مع لحاظ النتائج ، وذلك بأن يكون العدد كافياً لإدامة النهضة أيضاً ، وأنّ هذا العدد الكافي يحتاج إلى أرضية مناسبة لإعداده ، وهذه الأرضية

---

١. الغيبة للشيخ النعماني : ص٦١ .

المناسبة والحاضنة أيضاً تحتاج إلى مقدمات تعتمد على التغيير الحاصل في نفوس الأمّة ، والذي على أثره يحصل التغيير في الوضع الحاكم في المجتمع ، قال تعالى :

﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [1]

هذا بالإضافة إلى أنّ الحديث الشريف لم يتكلم عن امتلاء الأرض فسقاً وفساداً وفجوراً حتى يتبادر إلى الأذهان خلوّها من الإيمان ، وتعارضها مع انتشار الدين وازدياد عدد المؤمنين المتحنين والمحصين ، فذهب بعضهم وبسبب فهمهم الخاطئ لمعنى الحديث الشريف إلى القول بترك الإصلاح ، أو نشر الفساد ، ظناً منهم بأنّ ذلك يساعد في تسريع ظهور الإمام عليه السلام .

وقد مرّ ذكر بعض أقوال العلماء الذين أكّدوا فيها على عدم ترك الإصلاح في المجتمع ، وضرورة الاستعداد لنصرة الدين ، وعدم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما إلى ذلك من الأمور، فراجع [2] .

إنّ امتلاء الأرض ظلماً وجوراً يدلّ أيضاً على وجود المظلوم والمجار عليه ، وإنّ أشدّ الظلم هو ذاك الذي يقع على الإسلام والمسلمين ، والذي يقع على المؤمنين منهم خاصّة .

---

١. الرعد ، ١١ .

٢. راجع ص١٤٦ـ ١٤٨ .

وهذا ما يجري حقيقةً في عصرنا الحاضر من الهجوم الظالم والشرس على الإسلام والمسلمين عموماً ، وعلى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً ، وفي كل بقاع الأرض التي يتواجدون فيها ، وبشتى أشكال الظلم والتعسّف ، وخاصّة على الجمهورية الإسلامية في إيران التي أقامت حاكمية الدين ، وأعادت العزّة للمسلمين ، وبددت أحلام الظالمين ، وعلى كل مريديها ومؤيّديها ومن ينتمي إليها بشكل من الأشكال .

حيث اجتمع على ظلمها ومعاداتها ومنابذتها جميع أئمة الكفر والنفاق ، ابتداءً من الاستكبار العالمي ، وعلى رأسه الشيطان الأكبر أمريكا ، إلى الصهيونية العالمية المتمثلة بإسرائيل الغاصبة واللقيطة ، وإنتهاءً بدول النفاق في المنطقة ، وعلى رأسها مملكة الشر والتكفير ، مملكة آل سعود .

وإنّ خير دليل على وجود هذا الظلم والجور على أهل الإيمان ، هو ما جاء من تسميتهم في القرآن الكريم بالمستضعفين ، حيث قال تعالى فيه :

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [1]

---

١. القصص ، ٥ .

أولئك المؤمنون الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى أن يستخلفهم في الأرض ، ويُمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يستبدل خوفهم بالأمن ، فقال في كتابه الكريم :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1]

---

١. النور ، ٥٥ .

الخاتمة

اعلم أيها العزيز هدانا الله وإياك إلى طريق الصواب أنّ أنصار الإمام المهدي أرواحنا فداه لا يختلفون عن أنصار الحق على مرّ العصور ، أولئك الذين أعطاهم الله سبحانه وتعالى من نفاذ البصيرة ما أعانهم به على تشخيص الحق ومن يمثّله في زمانهم ، ومن قوة الإرادة ما سدّدهم بها في نصرة دينه ونصرة أوليائه ، كلٌ بحسبه ومن موقعه ، وذلك لأنّ الدين عند الله الإسلام ، وأنّ التكليف تجاهه لا يتغيّر بتغيّر الظروف ، فلا يختلف إلّا من حيث التفاصيل والجزئيات التي تتطلبها تلك الظروف .

فإذا أردت التعرّف عليهم وعلى خصوصياتهم فعليك أن ترجع إلى الوراء لترى ماذا كان مراد الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من أممهم ، لتعرف أنّ هذا الأمر ما زال قائماً ومطلوباً في كل مقاطع التاريخ من دون استثناء ، لكي يستطيع الذي يمثّل السماء الذي لا تخلو الأرض من وجوده أن يحكم بما أنزل الله إذا اجتمع له العدد الكافي منهم .

إنّ مسألة الإمام المهدي عليه السلام وأرواحنا فداه ، وما يرتبط بغيبته وظهوره ، والأمور ذات العلاقة بهذه الأحداث ، تعدّ من المسائل الحياتية والمصيرية التي لا يمكن للإنسان المؤمن أن يغض الطرف عنها

أو يهملها ، لأنها على مساس بأساس دينه ومعتقده وعاقبته ، بل ترتبط بمصير البشرية جمعاء ، لا بل بجميع الكائنات دون استثناء .

وذلك لما لظهوره عليه السلام وإمساكه بزمام الأمور ، وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً من البركات الإلهية والآثار التكوينية ما لا يمكن وصفه أو إحصاؤه ، وهذا كلّه متوقف على وفاء الأمّة بالعهد المأخوذ عليها من ولاية ولاة الأمر والقوّام بالقسط ، والشعور بالمسؤولية تجاه الدين الحق ، لكي تُرفع الموانع ، ويُمهّد الطريق ، وتُعدّ الارضيّة لظهوره أرواحنا فداه .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[١]

تمّ الفراغ من هذه الرسالة بعونه تعالى بيد الفقير إليه والراجي عفوه وقبوله في عصر يوم السبت الموافق للسابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة ثمانية وثلاثين وأربعمائة بعد الألف للهجرة النبوية الشريفة ، على مهاجرها صلى الله عليه وآله وأهل بيته آلاف التحيّة والثناء ، اليوم الذي ازدان بولادة سيّد الكائنات وفخر الموجودات محمد صلى الله عليه وآله ، وبولادة ولده الإمام الصادق عليه السلام ، والحمد لله أولاً وآخراً .

وديع الحيدري

١٧/ ربيع الأول/١٤٣٨

---

١. ق ، ٣٧ .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
	السورة	
	البقرة	
﴿الَّـذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَـا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقـاً مِّـنْهُمْ لَيَكْتُمُـونَ الْحَـقَّ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٤٦	٣٣
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	٢٤٦	٤٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾	١٧	١٨١

آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾	١٥٥	٤٩
﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٨٣	٦٠
﴿وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾	١٤١	٦٨
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾	١٤٤	١٠٠
﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٨٣	٢٥٢

النساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	١٧٩
﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾	٤٨	٢٠٥
﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	٩٨ ,٩٩	٢٣٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾	٩٧	٢٣٨

المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾	٥	٣٧
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾	٦٧	٣٨ ,٣٧
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾	٢٥	١٢٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا﴾	١٠٤	١٨١
﴿لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾	٦٦	٢٣٥
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٢٣٩

الأنعام

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	٢٠	٣٣
﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾	١٤٩	٣٥
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾	١٥٨	١٠٦ ,٢١٧
﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	١٦٤	٢٥٢

الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
(إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)	١٨٨	١١
(فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)	١١١	٣٤
(وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ)	١٠٢	٢١٤
(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ)	١٧٩	٢١٥
(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)	٩٦	٢٢٧ ٢٣٥,

الأنفال

الآية	رقمها	الصفحة
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)	٥٣	٤٤

التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
(فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)	١٢٢	١٢
(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ		

كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)	٢٤	١٢٦
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ)	٣٦	١٣٦
(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)	٣٣	٢٣٠

يونس

(فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ)	٧٤	٣٤
(ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ)	١٠٣	٢١١

هود

(إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ)	١٢	١٣
(وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)	٢٧	١٩٢

يوسف

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ) ١١١ ١٧

(وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ٨٧ ١٦٠

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ) ١٠٦ ٢٠٣

(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) ١٠٣ ٢١٥

الرعد

(إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ) ٧ ١٣

(إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) ١١ ٤٥, ٢٤٠, ٢٦٤,

إبراهيم

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ٢٤ ,٢٥ ٢٠٥

الحجر

(وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) ١١ ١٨٠

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) ٧٥ ,٧٦ ٢٢٥

الإسراء

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا) ٨٩ ٢١٤

الكهف

(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) ٥٦ ١١

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) ١٠٤ ١٠١

(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ١١٠ ٢٠٥

الأنبياء

(مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) ٢ ١٨٠

(ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) ٩ ٢١١

الحج

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ٤٩ ١٢

المؤمنون

(وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) ٧٠ ٩٨, ٢١٤

النور

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) ٥٥ ٩٠, ٢٦٦

الفرقان

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ٥٦ ١١

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) ١ ١٣

الشعراء

(إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ١١٥ ١٢

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِين * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) ١٩٣ ١٩٤ ١٣

(وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) ٥ ١٨٠

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ١١١ ١٨٨

النمل

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ٣٤ ٩٠

القصص

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥ ٢٦٥

العنكبوت

﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ١, ٢ ٧٣, ١٣٠

الروم

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ٩ ١٧

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾ ١٠ ٥٠

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٤١ ٢٢٨

السجدة

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ ٢٩ ,٣٠ ١٠٦ ,٢١٧

الأحزاب

﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ ٦٢ ٧, ٤١ ,١٨٤

سبأ

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ١٣ ٩٨, ٢١٥

فاطر

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ٢٣ ١٢

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ٢٤ ١٣

الصافّات

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٦٠ ١٩٦

ص

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ٢٤ ٢١٥

الشورى

﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ ٣٠ ٤٤

الزخرف

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾	٢٣	١٨١

الأحقاف

﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	٩	١٢

ق

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٥٠	٢٦٨

الفتح

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾	٢٨	١٩٢
﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٢٥	٢١٠

الذاريات

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٩٤

الحديد

(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ٣ ٢٠٦

المجادلة

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ٢٢ ١٧٥

الصف

(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ٩ ٢٥

المدّثّر

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ) ١,٢ ١٣

الشمس

(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) ١٤,١٥ ٥٦

فهرس الروايات

الأدعية والزيارات والأحاديث القدسية

- (كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف ، فخلقت الخلق لكي أُعرف) ص١٩٤

- {وعزتي وجلالي لأعذبنّ كل رعيّة في الإسلام (أطاعت إماماً جائراً) دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عزّ وجلّ وإن كانت الرعية في أعمالها برّةً تقيّة ، ولأعفونّ عن كل رعيّة (أطاعت إماماً هادياً) دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى وإن كانت الرعيّة في أعمالها (ظالمة) طالحة مسيئة} ص٢٣٩

- (فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ ، وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ ، أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ ، وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ .) ص٢١

- (يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .) ص٢١

- (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ) ص٢٢
- (إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاَكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ .) ص٢٢
- (اللهُمَّ اكْشِفْ هذِهِ الغُمَّةِ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ بِحضُورِهِ ، وَعَجِّلْ لَنا ظُهُورَهُ ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً .) ص٣٠
- (وَحِيْنَ وَجَدَ أَنْصاراً نَهَضَ مُسْتَقِلّاً بِأعْبَاءِ الخِلَافَةِ ، مُضْطَلِعاً بِأَثْقَالِ الإِمَامَةِ .) ص٤٠
- (اللهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هذا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْدَاً وَعَقْدَاً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلا أَزُولُ أَبَدَاً) ص٦٢
- (وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ الله ، أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ، وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا ، يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً .) ص١٠٧, ٢١٦
- (اللّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَك ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَك لَمْ اعْرِفْ نَبِيَّك ، اللّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَك ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَك لَمْ اعْرِفْ حُجَّتَك، اللّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَك ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَك ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي .) ص١٩٩
- (مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ... ، بِكُمْ فَتَحَ اَللّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ .) ص٢٠٠
- (السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْمُهْتَدُونَ) .. ص٢٥١

- (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللهِ الَّذِي يُسْتَضاءُ بِهِ.) ص٢٥١
- (وَأَسْأَلُكَ بِتَوْحِيدِكَ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ ، وَأَخَذْتَ بِهِ الْمَوَاثِيقَ ، وَأَرْسَلْتَ بِهِ الرُّسُلَ ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ ، وَجَعَلْتَهُ أَوَّلَ فُرُوضِكَ وَنِهَايَةَ طَاعَتِكَ ، فَلَمْ تَقْبَلْ حَسَنَةً إلاَّ مَعَهُ ، وَلَمْ تَغْفِرْ سَيِّئَةً إلاَّ بَعْدَهُ.) ص٢٠

فهرس
أحاديث أهل البيت عليهم السلام

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

- (**من مات وهو لا يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية**) ... ص٣٥
- {**والذي بعثني بالحق بشيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر** . فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ؟ قال صلى الله عليه وآله : **إي وربّي** (وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)} ص٦٨, ١٢٨
- (**يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان**) ص٧١, ١٣٢
- (**أفضل أعمال أمّتي انتظار فرج الله عزّ وجلّ**) ص١٣٧
- (**أفضل العبادة انتظار الفرج**) ص١٣٧
- (**أفضل جهاد أمّتي انتظار الفرج**) ص١٣٧
- (**طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه ، يتولى وليَّه ويتبرأ من عدوِّه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي ومودتي ، وأكرم أمّتي عليّ**) ص١٦٢, ١٧٨

- (يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس كلّهم وادياً فاسلك مع علي ، فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى.).. ص١٧١
- (دبيب الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء) ص٢٠٥
- {أصدق كلمة قالتها العرب ، كلمة لبيد : (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)} ص٢٠٦
- (أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب) ص٢٥٠
- (يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي، يعني سلطانه) ص٢٥٣

أمير المؤمنين عليه السلام

- (لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر) ص٣٩
- (أما والله لو وجدت أعواناً لقاتلتهم) ص٣٩
- (وأيم الله ما كان قوم قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها لأنّ الله ليس بظلّام للعبيد) ص٤٤
- (أما أنّكم لن تروا ما تحبون وما تأملون يا معشر الشيعة حتى ... وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين والملح في الزاد ، وهو أقل الزاد) ص٧١, ١٢٩

- (وسأضرب لكم مثلاً ، وهو مثل رجل كان له طعام ، فنقّاه وطيّبه ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس ، فأخرجه ونقّاه وطيّبه ، ثم أعاده إلى البيت ، فتركه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصاب طائفة منه السوس ، فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً ، وكذلك أنتم تميّزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً) ص٨١

- (منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت) ... ص١٢٧

- (والله لا يكون ما تأملون حتى يهلك المبطلون، ويضمحل الجاهلون، ويأمن المتقون، وقليل ما يكون) ص١٢٩

- (ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا ، وكتب في قلوبهم الإيمان ، وأيّدهم بروح منه) ص١٣٣

- (أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله) ص١٣٨

- (انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روْح الله ، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج) ص١٣٨, ١٥٩

- (سُئل عن أحب الأعمال إلى الله، قال: انتظار الفرج) ... ص١٣٨

- (عليكم بالجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان، إمام هدى أو مطيعٍ له مقتدٍ بهداه) ص١٥٦, ٢٣٩

- (الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس ، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله) ص١٦٢
- (هو المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، تكون له حيْرة وغيْبة،يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون)................................ ص١٨٩, ٢٦٣
- (إنّ أصحاب القائم شباب لا كهول فيهم، إلّا كالكحل في العين، أو كالملح في الزاد ، وأقلّ الزاد الملح) ص١٩٠
(أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له) ص١٩٣

الإمام الحسن عليه السلام :

- (وقد جعل الله هارون في سعةٍ حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل الله النبي في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم ، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمّة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً ، وإنّما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً) ص٤١

الإمام الحسين عليه السلام

- (أمّا بعد فقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لِحُرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنّة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر عليه بقول

ولا فعل ، كان حقيقاً على الله أن يُدخله مدخله) ، (وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولّوا عن طاعة الرّحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله) ص٢٣

- (ويزيد رجل فاسق شارب للخمر ، قاتل النفس المحرّمة ، معلنٌ بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله) ص٢٣

(ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقاً حقاً ، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا برما) ص٢٤

- (وقد أتتني كتبكم وقدِمَت عليّ رسُلكم ببيعتكم ، أنّكم لا تُسلموني ولا تخذلوني ، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظّكم ورشدكم... ، فلكم بي أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم وخلعتم بيعتكم ، فلعمري ما هي منكم بِنُكر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي ، والمغرور من اغترّ بكم ، فحظّكم اخطأتم ، ونصيبكم ضيّعتم ، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم والسلام) ص٥٣

- (تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً ، وبؤساً لكم ، حين استصرختمونا ولهين ، فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا ، وحشمتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا ، فأصبحتم ألباً على أوليائكم ، ويداً لأعدائكم...، أفهؤلاء تعضدون ، وعنّا تتخاذلون !

أجل ولله خذلٌ فيكم معروف ، نبتت عليه أصولكم... ، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون العهد بعد توكيدها ، وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً) ص٥٣

- (الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم ، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون) ص٥٤

- (يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة ، ويا حبيب بن مظاهر ، ويا زهير بن القين... ، ويا أبطال الصّفا ، ويا فرسان الهيجاء ، ما لي أناديكم فلا تجيبونِ) ص١٥٦

- (أيها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه) ص١٩٤

الإمام زين العابدين عليه السلام

- (أيها الناس ناشدتكم بالله ، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة ، وقاتلتموه وخذلتموه ؟ فتباً لما قدّمتم لأنفسكم... هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل) ص٥٦

- (وأمّا الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به، فلا يثبت عليه إلّا من قوي يقينه، وصحّت معرفته، ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضينا وسلّم لنا أهل البيت) ...ص٦٦,٩٧,١٣٣

- (لتأتينّ فتن كقطع الليل المظلم ، لا ينجو (منها) إلّا من أخذ الله ميثاقه ، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ، ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة) ص١٣٣

- (انتظار الفرج من أعظم الفرج) ص١٥٧

- (إنّ أهل زمان غيبته ، القائلون بإمامته ، المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان ، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ، أولئك المخلصون حقاً ، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً) ص١٦٣

الإمام الباقر عليه السلام

- (لقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال : إنّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلّا بغتة) ص٢٩

- (القائل منكم أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته ، كان كالمقارع معه بسيفه ، لا بل كالشهيد معه) ص٦٣

(هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ، يقولها ثلاثاً ، حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو) ص٦٦

- (في أي شيء أنتم ، هيهات هيهات لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحّصوا ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى

تميّزوا ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تغرّبلوا ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلّا بعد إياس ، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد) ص٦٦

- (وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا، ويمسي وقد خرج منها ويمسي على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج منها) ص٦٩

- (لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين ، وإنّ صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى يخرج منها ، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ، ويمسي وقد خرج منها ، ويمسي على شريعة من أمرنا ، ويصبح وقد خرج منها).. ص٧١, ١٠١

- (وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرها الفتنة) ص٧١

- (إنّما مثل شيعتنا مثل أندر يعني بيدراً فيه طعام فأصابه آكل فنقّي ، ثمّ أصابه آكل فنقّي، حتى بقي منه ما لا يضرّه الآكل، وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرّها الفتنة) .. ص٨٢

- (ارتدّ الناس بعد النبيّ ﷺ إلّا ثلاثة نفر) ص١٠٠

- (هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو) ص١٢٩

- (والله لأعطينّك ديني ودين آبائي الذين ندين الله عزّ وجلّ به : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً ﷺ رسول الله ، والإقرار بما

جاء من عند الله ، والولاية لولينا ، والبراءة من عدونا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والاجتهاد والورع) ص١٣٨

- (ما ضرّ من مات منتظراً لأمرنا ألّا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره) ص١٥٣

- (العارف منكم هذا الأمر المنتظر له ، المحتسب فيه الخير ، كمن جاهد والله مع قائم آل محمد صلى الله عليه وآله بسيفه ، بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه ، بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فسطاطه) ص١٦٣

- (يقوم بأمر جديد ، وسنّة جديدة ، وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلّا القتل ، ولا يستتيب أحداً ، ولا تأخذه في الله لومة لائم) ص١٨٣, ٢١٨

- (وإنّما سُمّي المهدي مهدياً لأنه يهدي إلى أمرٍ خفيّ) ... ص١٨٣

- (كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، ولعلّ النمل الصغار تتوهم أنّ لله زبانيتين (زبانتين) ، فإنّ ذلك كمالها ويتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما ، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به) ص١٩٦

- (كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لأحدٍ عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أُدميت رباعيته وشُجّ في وجهه ، كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق ، ثمّ مسح جبهته) ص٢١٢

- (والقائم عليه السلام يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً ، بذلك أُمِر في الكتاب الذي معه ، أن يسير بالقتل ، وويلٌ لمن ناواه) ص٢١٣
(لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحبّ أكثرهم ألّا يروه مما يقتل من الناس... ، حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم) ص٢١٤

الإمام الصادق عليه السلام

- (وتوقّع أمر صاحبك ليلك ونهارك ، فإنّ الله كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن ، ذلك ربّ العالمين) ص٢٩
- (أقرب ما يكون العباد من الله جلّ ذكره، وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله...، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءاً) .. ص٢٩
- (هلكت المحاضير) ، قال : قلت وما المحاضير ، قال : (المستعجلون ، ونجا المقرِّبون) ص٣٠
- (أمّا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت) ص٤٠
- (والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود) ص٤٠
(وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنّما نتّقي ، ولكانت التقيّة أحبّ إليكم من آبائكم وأمهاتكم) ص٤٠

- {(**ألقِ النعل من يدك واجلس في التنور**) ، فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور ، وبعد هنيئة التفت الإمام عليه السلام إلى الرجل الخراساني وقال له : (**كم تجد بخراسان مثل هذا**) ، قال : والله ولا واحداً ، فقال عليه السلام : (**أمّا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت**)} ص٥١

- {**تنزل الكوفة** ؟ قلت : نعم ، قال : **فترون قتلة الحسين** عليه السلام **بين أظهركم** ؟ قال : قلت : جُعلت فداك ما رأيت (بقي) منهم أحداً ، قال : **فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا من قَتل ، أو من ولي القتل ، ألم تسمع إلى قول الله** (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ، **فأيّ رسول قبل (قتل) الذين كان محمد** صلى الله عليه وآله **بين أظهرهم ، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول ، إنما رضوا قتل أولئك فسمّوا قاتلين**} ص٦٠, ٢٥٩

- (**إذا خرج القائم** (عليه السلام) **خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله**) ص٦٧, ٩٧

- (**إنّ قدّام قيام القائم علامات بلوى من الله تعالى لعباده المؤمنين**) ص٦٩

- (**ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقده ، يمسي أحدكم مؤمناً ويصبح كافراً ، فالله الله في أديانكم**) ص٦٩

- (**وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم**) ص٦٩

- (**فيهم التمييز ، وفيهم التمحيص ، وفيهم التبديل**) ص٧١
- (**ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة... .**) ص٧٢
- (**وهو المنتظر غير أنّ الله تعالى يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون**) ص٧٢
- (**ألا إنّ شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته ، هناك يثبّت الله على هداه المخلصين**) ص٧٢, ٩٣, ١٣٤
- {**أمّا إبطاء نوح عليه السلام ، فإنّه لمّا استنزل العقوبة من السماء بعث الله عزّ وجلّ الروح الأمين (عليه السلام) بسبع نويات ، فقال : يا نبي الله إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك : (إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلّا بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجة ، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإنّي مثيبك عليه ، واغرس هذا النوى ، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص ، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين .) ، فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوّقت وتغصّنت وأثمرت وزهى الثمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العِدَة ، فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد ، ويؤكد الحجة على قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به ، فارتدّ منهم ثلاثمائة رجل، وقالوا : لو كان ما يدّعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربّه خُلف . ثم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كل مرّة بأن يغرسها مرّة بعد**

أخرى ، إلى أن غرسها سبع مرّات ، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد(وا) إلى نيف وسبعين رجلاً . (فلو أنّي أهلكت الكفار وأبقيت من ارتدّ من الطوائف التي كانت آمنت بك ، لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك ، واعتصموا بحبل نبوتك بأن أستخلفهم في الأرض وأمكّن لهم دينهم وأبدّل خوفهم بالأمن ، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك (الشرك) من قلوبهم . وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق ... إلى أن قال تعالى فيما لو كان قد أبقى على الذين ارتدوا إلى زمن الاستخلاف : لاستحكمت سرائر نفاقهم ، وتأبدت حبال ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة ، وحاربوهم على طلب الرئاسة والتفرّد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر (الأمن) في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب .كلا ، فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا .) وكذلك القائم (عليه السلام) فإنه تمتد أيام غيبته ليصرّح الحق من محضه ، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام } ص٧٥, ٨٧, ١١٢

- (يا نبيّ الله فعلت بنا ما وعدت أو لم تفعل فأنت صادق نبيّ مرسل لا نشك فيك) ص٧٩

- (وتأملت منه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم) ص٩٦

- (والله لتكسّرنّ تكسّر الزجاج ، وإنّ الزجاج ليعاد فيعود كما كان ، والله لتكسّرنّ تكسّر الفخار ، فإنّ الفخار ليتكسر فلا يعود كما كان، (و) والله لتغربلنّ ، (و) والله لتميّزنّ ، (و) والله لتمحّصنّ حتى لا يبقى منكم إلّا الأقل وصعّر كفّه) ص١٠٤

- (والآية المنتظرة هو القائم المهدي عليه السلام ، فإذا قام لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدّم من آبائه عليهم السلام) ص١٠٦

- (يوم الفتح، يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً، وبهذا الفتح موقناً) ص١٠٦, ٢١٧

- (أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميّزوا وتمحّصوا ، وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل) ص١٢٩

- (ويل لطغاة العرب من شرٍ قد اقترب)، قلت : جُعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: (شيء يسير) ، فقلت: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير ، فقال (عليه السلام) : (لابدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ، ويخرج في الغربال خلق كثير) ص١٣٠

– (والله لتمحّصنّ ، والله لتطيّرنّ يميناً وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلّا كل امرئ أخذ الله ميثاقه ، وكتب الإيمان في قلبه ، وأيّده بروح منه) ص١٣٣

– (أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم ... ، ألى أن قال عليه السلام : ولتُكفأنّ كما تُكفأ السفن في أمواج البحر ، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه ، وكتب في قلبه الإيمان ، وأيّده بروح منه) ص١٣٤

– (يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته ، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) ص١٣٤, ١٥٢, ١٦٣

(لو قام القائم لأنكره الناس... ، إلى أن قال عليه السلام : لا يثبت عليه إلّا من قد أخذ الله ميثاقه في الذر الأول) ص١٣٥

– (من دين الأئمة الورع والعفّة والصلاح ... إلى أن قال عليه السلام : وانتظار الفرج بالصبر) ص١٣٩

– (إذا قام القائم أتي المؤمن في قبره ، فيقال له : يا هذا ، إنه قد ظهر صاحبك ، فإن تشأ أن تلحق به فالحقْ ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقِم) ص١٣٩

– (ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به ؟ فقلت: بلى ، فقال عليه السلام : شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله ، والولاية لنا ، والبرائة من أعدائنا ، يعني الأئمة خاصّة، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد ، والطمأنينة والانتظار

للقائم... ، إلى أن قال عليه السلام : من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر ، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة) ص١٤٢, ١٥٧

- (ليعدّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً) ص١٤٦

- (يا أبا بصير أنت ممن يريد الدنيا ؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه بانتظاره) ص١٤٩

- (ما تستعجلون بخروج القائم ؟ فوالله ما لباسه إلا الغليظ ، وما طعامه إلا الشعير الجشب ، وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف) ص١٥٠, ٢١٣

- (من مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا بل كان بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف) ص١٥٤

- (يا أبا حمزة من آمن بنا وصدّق حديثنا، وانتظر أمرنا، كان كمن قُتل تحت راية القائم، بل والله تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله) . ص١٥٤

- (فإن مات (المنتظِر) وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه) ص١٥٥

- (من عرف هذا الأمر ثم مات قبل أن يقوم القائم عليه السلام كان له مثل أجر من قُتل معه) ص١٥٥

- (وأمّا من كان قبل هذا الفتح مؤمناً بإمامته ، ومنتظراً بخروجه ، فذلك الذي ينفعه إيمانه ، ويعظم الله عزّ وجلّ عنده قدره وشأنه ، وهذا أجر الموالين لأهل البيت) ص١٦٦

- (العلم سبعة وعشرون حرفاً ، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين فبثها في الناس ، وضمّ إليها الحرفين ، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً) ص١٨٣

- (إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً ، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثِر وضلّ عنه الجمهور ، وإنّما سُمّي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه) ص١٨٣

- (أعداؤه مُقلِّدة العلماء أهل الاجتهاد ، لما يرونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم، فيدخلون كرها تحت حكمه خوفاً من سيفه... إلى أن قال عليه السلام : ولولا أنّ السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله) .. ص١٨٥

- (إذا خرج القائم (عليه السلام) خرج من هذا الأمر من كان يرى أنّه من أهله ، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر) ص١٨٩, ٢١٨

- (لينصرنّ الله هذا الأمر بمن لا خَلاقَ له) ص١٨٩

- (لو قام القائم لأنكره الناس لأنّه يرجع إليهم شاباً موفقاً) . ص١٩١

(إنّ من أعظم البليّة أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً) ص١٩١

- (**إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان**) ص١٩٨

- {(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ) : (**هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه** .) ، قلت : فنقول : لولا أن الله منَّ عليّ بفلان لهلكت ، قال عليه السلام : (**نعم لا بأس بهذا ونحوه**)} ص٢٠٤

- {(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)، فقال عليه السلام :(**من صلى أو صام أو أعتق أو حجّ يريد محمدة الناس ، فقد أشرك في عمله ، وهو شرك مغفور**) ... ص٢٠٤

- (**أي شيء الله أكبر** ؟ فقلت : الله أكبر من كل شيء ، فقال : **فكان ثَمَّ شيء فيكون أكبر منه** ؟ فقلت فما هو ؟ فقال : **الله أكبر من أن يوصف**) ص٢٠٧

- {**لآية في كتاب الله عزّ وجلّ** : (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ، قال قلت : وما يعني بتزايلهم ؟ قال عليه السلام : **ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين ، فكذلك القائم** عليه السلام **لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عزّ وجلّ ، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ جلاله فقتلهم**} ص٢١١

- (**فيتم حجه الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم** عليه السلام **ويسير (يصير) سبباً لنقمة الله**

وسخطه على العباد لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجةً.) ص٢١٢

- {(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً) : **يعني خروج القائم المنتظر منّا**} ص٢١٧

- **(لن تذهب الدنيا حتى يخرج رجل منّا أهل البيت يحكم بحكم داود وآل داود لا يسأل الناس عن بيّنة)** ص٢٢٣

- {**إذا قام قائم آل محمد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بيّنة ، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ، ويخبر كل قوم ما استبطنوه ، ويعرف وليه من عدوه بالتوسم ، قال الله سبحانه وتعالى** : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ* وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ)} ص٢٢٣

- **(لأنّ سيئات الإمام الجائر تغمز حسنات أوليائه ، وحسنات الإمام العادل تغمز سيئات أوليائه)** ص٢٤٠

- **(لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)** ص٢٥١

- **(أتدري لِم سمّي قم ؟** قلت : الله ورسوله أعلم . قال : **إنّما سمّي قم لأنّ أهله يجتمعون مع قائم آل محمد** ـ صلوات الله عليه ـ ، **ويقومون معه ، ويستقيمون عليه ، وينصرونه)** ص٢٥٣

- (وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها) ص٢٥٣

- (ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجة ، فيفيض العلم منه إلى ساير البلاد في المشرق والمغرب ، فيتم حجه الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم عليه السلام ويسير (يصير) سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد ، لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجةً) ص٢٥٤

- (إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق وأهل المغرب ، أتدري لم ذاك ؟ قلت لا ، قال : للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه) ص٢٥٧

- (إذا رفعت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب ، قلت له مِمَّ ذلك قال : مِمّا يلقون من بني هاشم) ص٢٥٦

- (إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها).. ص٢٦٠

الإمام الكاظم عليه السلام

- (**يا علي** (بن يقطين) **إنّ الشيعة تُربّى بالأماني منذ مائتي سنة**).. ص٢٨

- (**خطبت فاطمة الصغرى بعد أن رُدّت من كربلاء، فقالت..**) ص٥٨

- (**رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد ، لا تزلّهم الرياح العواصف ، ولا يملّون من الحرب ، ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين**) ص٢٥٤

الإمام الرضا عليه السلام

- {(**لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتى تميّزوا وتمحّصوا فلا يبقى منكم إلا القليل** . ثم قرأ :(الم * أَحَسِبَ...)} ص٧٤, ١٣٠

- {**أما والله لا يكون الذي تمدّون إليه أعينكم حتى تميّزوا وتمحّصوا، وحتى لا يبقى منكم إلّا الأندر** ، ثم تلا الآية : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)} ص٧٤

- (**ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين**) ص٩٣

- (**والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إليه حتى تمحّصوا وتميّزوا ، وحتى لا يبقى منكم إلّا الأندر فالأندر**) ص١٣١

- (**أليس انتظار الفرج من الفرج ؟**) ص١٥٢, ١٥٧

- (**أولست تعلم أنّ انتظار الفرج من الفرج** ؟ قال السائل : قلت لا أدري إلّا أن تعلّمني، فقال : **نعم انتظار الفرج من الفرج**) .. ص١٥٨
- {سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن قول الصادق عليه السلام : **إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين** عليه السلام **بفعال آبائها** ، فقال : **هو كذلك** ، فقلت : وقول الله عزّ وجلّ (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ، ما معناه ؟ قال : **صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين** عليه السلام **يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أنّ رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب، لكان الراضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل ، وإنما يقتلهم القائم** عليه السلام **إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم**} ص٢٦٠

الإمام الجواد عليه السلام

- (**وإنّ الله تبارك وتعالى يصلح أمره في ليلة**) ص٢٧
- (**لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته**) ... ص٩٧
- (**أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج**) ص١٣٩
- {فقلت لأبي جعفر (عليه السلام) : هل يبدو لله في المحتوم ؟ قال : (**نعم**) قلنا له : فنخاف أن يبدو لله في القائم ، فقال : (**إنّ القائم من الميعاد ، والله لا يخلف الميعاد**)} ص٢٢١

الإمام الهادي عليه السلام

- **(إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج)** ص٢٩

الإمام العسكري عليه السلام

- **(إي وربّي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، ولا يبقى إلّا من أخذ الله عهده لولايتنا ، وكتب في قلبه الإيمان ، وأيّده بروح منه.)** ص١٣٥

(أما إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عزّ وجلّ.).. ص٦, ١٣٥

- {**(إذا قام القائم يهدم المنار (المنائر) والمقاصير التي في المساجد)** فقلت في نفسي لأي شيء هذا ؟ فأقبل عليّ فقال: **(معنى هذا أنها محدثة مبتدعة)**} ص٢٢٤

الإمام المهدي عليه السلام

- **(فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا . فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة)** ص١٤٣, ١٦٦, ٢١٦

- **(من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله)** .. ص١٧٨

(ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة

بمشاهدتنا، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم) ص٢٥, ٤٥, ٢١٩, ٢٣٤, ٢٤٥

فهرس المصادر

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الاحتجاج** ، الطبرسي ، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف .

٣- **الاختصاص** ، الشيخ المفيد ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .

٤- **الإرشاد** ، الشيخ المفيد ، تحقيق : مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، الطباعة والنشر : دار المفيد .

٥- **الإفصاح** ، الشيخ المفيد ، تحقيق ونشر : مركز مؤسسة البعثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - قم المقدسة .

٦- **إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب** ، الشيخ علي اليزدي الحائري ، تحقيق : السيد علي عاشور .

٧- **الأمالي** ، الشيخ الطوسي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة ، الطباعة والنشر : دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - قم المقدسة .

٨- **الباب الحادي عشر** ، العلّامة الحلّي ، شرح الشيخ مقداد السيوري الحلي ، الناشر : مكتبة العلّامة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ قم المقدسة .

٩- **بحار الأنوار** ، العلّامة المجلسي ، طباعة ونشر : مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ بيروت .

١٠- **تأويل الآيات في فضائل العترة الطاهرة** ، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، الطباعة والنشر : مطبعة أمير ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ قم المقدسة .

١١- **تاريخ الغيبة الكبرى** ، السيد محمد الصدر ، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة ـ أصفهان .

١٢- **تفسير الصافي** ، المولى محسن الفيض الكاشاني ، تحقيق : الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر : مكتبة الصدر ـ طهران ، المطبعة : مؤسسة الهادي ـ قم المقدسة ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .

١٣- **تفسير العيّاشي** ، النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، الطباعة والنشر : المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران .

١٤- **تفسير القمّي** ، أبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب ـ قم ، مطبعة نجف ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

١٥- **جامع الأسرار ومنبع الأنوار** ، السيد حيدر الآملي ، الطباعة والنشر : مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

١٦- **جامع السعادات** ، الشيخ محمد مهدي النراقي ، تحقيق : السيد محمد كلانتر ، الناشر : مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف .

١٧- **جمال الأسبوع** ، السيد بن طاووس ، تحقيق : جواد قيومي ، المطبعة : أختر شمال ، الطبعة الأولى .

١٨- **دلائل الإمامة** ، المحدّث الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ، الطباعة والنشر : مؤسسة البعثة ـ قم المقدسة ، الطبعة الأولى ١٣١٣هـ .

١٩- **رسائل في الغيْبة** ، الشيخ المفيد ، تحقيق : علاء آل جعفر ، الطباعة والنشر : دار المفيد ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

٢٠- **الرسائل العشر** ، الشيخ الطوسي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ١٤٠٤هـ ، قم المقدسة .

٢١- **رسالة الولاية** ، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، الطباعة والنشر : قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة .

٢٢- **شرح أصول الكافي** ، المولى محمد صالح المازندراني .

٢٣- **شرح الأسماء الحسنى** ، الملا هادي السبزواري ، الناشر : مكتبة بصيرتي .

٢٤- **عرفان وحماسة** ، الشيخ جوادي اللآملي ، الناشر : مركز نشر رجاء ، مطبعة بجمان ، الطبعة الأولى .

٢٥- **عقائد الإمامية** ، الشيخ المظفر ، الناشر ، انتشارات الشريف الرضي ، قم المقدسة .

٢٦- **علل الشرائع** ، الشيخ الصدوق ، الناشر : المكتبة الحيدرية ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

٢٧- **الغيْبة** ، الشيخ الطوسي ، تحقيق : عبد الله الطهراني وأحمد ناصح ، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة ، المطبعة : بهمن ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٢٨- **الغيْبة** ، الشيخ النعماني ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، الطباعة والنشر : مكتبة الصدوق ـ طهران .

٢٩- **قيام وانقلاب مهدي از ديدگاه فلسفه وتاريخ** (قيام المهدي من منظار الفلسفة والتاريخ) ، الشهيد المطهري ، الناشر : انتشارات صدرا الطبعة الثانية عشرة ، مطبعة فجر .

٣٠- **الكافي** ، الشيخ الكليني ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة حيدري ، طهران .

٣١- **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد** ، العلّامة الحلي ، تحقيق العلّامة حسن زاده الآملي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ ، قم المقدسة .

٣٢- **كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر** ، تحقيق : السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي ، الناشر : انتشارات بيدار ، المطبعة : الخيام ـ قم المقدسة ، ١٤٠١هـ .

٣٣- **كمال الدين وتمام النعمة** ، الشيخ الصدوق ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين ـ قم المقدسة ، ١٤٠٥هـ .

٣٤- **المزار** ، الشيخ المفيد ، تحقيق ونشر : مدرسة الإمام الهادي (ع) ـ قم المقدسة ، المطبعة : مهر ، الطبعة الأولى .

٣٥- **مصباح المتهجد** ، الشيخ الطوسي ، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٣٦- **معالم المدرستين** ، السيد مرتضى العسكري ، الناشر : مؤسسة النعمان ـ بيروت ، ١٤١٠هـ .

٣٧- **مفاتيح الجنان** ، الشيخ عباس القمّي ، الناشر : انتشارات استقلال ، مطبعة أمير ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى .

٣٨- **المقدمات من كتاب نص النصوص** ، السيد حيدر الآملي ، الناشر : مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣٩- **مكيال المكارم ...** ، السيد محمد تقي الأصفهاني ، تحقيق : السيد علي عاشور ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٤٠- **مناقب آل أبي طالب** ، ابن شهر اشوب ، تحقيق : لجنة اساتذة النجف الأشرف ، المطبعة : الحيدرية ـ النجف الأشرف ، ١٣٧٦هـ .

٤١- **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر** عليه السلام ، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني ، الناشر : مكتبة الصدر ـ طهران ، الطبعة الثالثة .

٤٢- **موسوعة كربلاء** ، لبيب بيضون ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت .

٤٣- **الميزان في تفسير القرآن** ، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة .

٤٤- **النكت الاعتقادية** ، الشيخ المفيد ، طباعة ونشر : دار المفيد للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤١٤ ، بيروت ، لبنان .

٤٥- **نهج البلاغة** ، الشريف الرضي ، شرح : الشيخ محمد عبدة ، الطباعة والنشر : دار المعرفة ـ بيروت .

٤٦- **وسائل الشيعة** ، الحر العاملي ، تحقيق ونشر : مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، مطبعة مِهر ، قم المقدسة .

فهرس المواضيع

المقدمة ٥

تمهيد ١١

عبرة عاشوراء ١٩

إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ٢٧

دور علامات الظهور في التقريب المذكور ٣١

سبب الغيْبة ٣٧

الادّعاء ٤٧

شواهد من التاريخ ٥١

علة الدخول في بحث الادّعاء ٦٢

الامتحان والتمحيص ٦٥

اختصاص الامتحان بالمؤمنين ٦٨

السبب في امتحان الشيعة وأهل الإيمان ٧٣

امتحان أصحاب نوح عليه السلام ٧٥

خلاصة القصة ٨٠
مثال أمير المؤمنين عليه السلام ٨١
مثال ٨٤
شدّة الابتلاء ٨٧
مراحل الامتحان ٩٤
كثرة المرتدّين ٩٦
المرتد لا يعلم بارتداده ٩٩
سرعة الارتداد والخروج من الدين ١٠٤
فترة الامتحان ١١٠
الامتحان في أهم التكاليف الشرعية ١١٥
الامتحان في موضوع الادّعاء ١١٧
علاقة الامتحان بالهدف ١١٩
مثال ١٢٢
قلّة الأنصار ١٢٥
أوصاف القلّة الناجية ١٣٢
انتظار الفرج ١٣٧
فضيلة الانتظار ١٣٧
مفهوم الانتظار ١٤١
مثال ١٤٥

مفهوم الفرج ١٤٩
حقيقة هذا التكليف ١٥٣
انتظار الفرج من الفرج ١٥٧
اليأس من الفرج ١٥٩
فضيلة النتظِر ١٦٢
علاقة الانتظار بالامتحان ١٦٥
بعض أسباب الفشل في الامتحان ١٦٩
الإيمان بحجة الوقت ١٦٩
يأتي بأمر جديد ١٨٠
أعداؤه من علماء السوء ١٨٥
أنصاره عليه السلام ١٨٨
إظهاره للمعارف الإلهية والتوحيدية ١٩٢
معرفة الله سبحانه ١٩٦
التوحيد ٢٠١
الانتقام من الظالمين ٢١٠
لا يستتيب أحداً ٢١٦
علامات الظهور ٢٢٠
غيرها من الأسباب ٢٢٣
الأسباب الحقيقية للانحراف ٢٢٥

التمهيد للظهور ٢٢٩
دور حاكمية الدين في عملية التمهيد ٢٣٣
الغدير وحاكمية الدين ٢٤٢
وجه الانتفاع بالإمام عليه السلام في غيبته ٢٥٠
دور أهل المشرق في التمهيد للظهور ٢٥٣
كما ملئت ظلماً وجوراً ٢٦٣
الخاتمة ٢٦٧
فهرس الآيات القرآنية ٢٦٩
فهرس الروايات ٢٨١
الأدعية والزيارات والأحاديث القدسية ٢٨١
أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢٨٤
فهرس المصادر ٣٠٩
فهرس المواضيع ٣١٥